# شهوة

رواية

نبيل صبري




دار اكتب للنشر والتوزيع



شهوة

# شهوة

نبيل صبري
الطبعة الأولى ، القاهرة 2019 م
غلاف : أحمد فرج
تدقيق لغوي : خالد رجب عواد
رقم الإيداع : 23085 /2019
I.S.B.N: 978-977-488-600-3






دار اكتب للنشر والتوزيع

العنوان : 12 ش عبد الهادي الطحان ، من ش الشيخ منصور، المرج الغربية ، القاهرة ، مصر

هاتف : 01111947957

بريد إلكتروني : daroktob1@yahoo.com

## إهداء

إلى روح الأديب العظيم والكاتب صاحب الرصيد الأعظم من حُب القراء،

إلى من غادر عالمنا وهو على يقين بأن عمله الأعظم لم يكتبه بعد،

بينما عمله الأعظم هو أن ترك خلفه جيلًا كاملًا يعشق تراص الحروف والكلمات لتُشكل أدبًا،

إلى روح العراب

د/ أحمد خالد توفيق

# (1)
# الطبيب

لم يكن يعتقد يومًا أن شهوته تستطيع أن تفرض سطوتها عليه بمثل هذه السهولة، كان يرى في نفسه دائمًا الشاب الملتزم أخلاقيًا ودينيًا، الذي يتحكم في رغباته ويروض شهواته، فلا تنفلت أعصابه ولا تهتز مع اهتزاز أرداف النساء، حتى أنه لم يحاول يومًا أن يتحرش بإحدى الممرضات كما يفعل زملاؤه أحيانًا كثيرة، بل إن بعض الممرضات المُنفلتات رحن يراودنه عن أنفسهن بميوعةٍ تليقُ بعاهراتٍ محترفات، فما يكن منه إلا أن يوبخهن واضعًا قناع الجدية الحديدي على ملامح وجهه الوسيم.

أما اليوم فقد انهارت قلاع أخلاقه والتزامه الديني، وسقط قناع الجدية الزائف عن وجهه، ما إن رأى لوحة الجمال الكامل مغلفة بسحر الشهوة ومتجسدة في جسد أنثوي براق يرقد أمام ناظريه على فراش المستشفى الخاص الذي يعمل به، وفي غرفة الإفاقة تحديدًا، بعدما قام بإجراء جراحة استئصال الزائدة الدودية منه.

راح عقله يراوغه بأفكار متضاربة متناقضة، تارة يهيج شهوته بأن يمرر عينيه على المنحنيات الوعرة للجسد البرونزي الغائب في غياهب غيبوبة التخدير، وتارة أخرى يحذره من التمادي في السقوط في هوة الشهوة، مذكرًا إياه بقسمه الذي أقسمه يوم تخرج في كلية الطب، وعاهد نفسه أن يكون مخلصًا لمهنته وأن يصون حياة الإنسان ولا يكشف عورته ما أمكنه ذلك.

ضاربًا بقسم "أبقراط" عرض الحائط، راح بلا سيطرة منه يمرر أنامله على ساق المريضة، التي لم يستطع التخدير أن يخفي براعة حسنها، ثم نزع عنه معطف الأطباء ثم ملابسه كاملة، وعن صاحبة الجسد "جونة" العمليات، وقد تملكت شهوته منه، فتوقف عقله عن إسداء النصائح والتحذيرات، وتكفل بإعطاء الإشارات العصبية اللازمة لتتدفق الدماء الحارة إلى أطرافه، فانتصب شيئه معلنًا صحوته القاسية واستعداده لخوض معركة اغتصاب الواهنة الراقدة بلا وعي!

أغمض عينيه منتشيًا بقطف ثمارها، ثم فتحهما ليطمئن ألا أحد قد اقتحم غرفة الإفاقة، ومن ثم اعتلى جسد الحسناء البض، ليشق رمح شيؤه الحاد كهف الأنوثة الطاغية، يكتشف أسرار الجنة المختبئة بين ساقيها تخفي معها أسرار اللذة التي لم يذقها شيؤه من قبل.

ينغرس الرمح حتى آخره فيتأوّه صاحبه من فرط اللذة، ثم ينسحب عائدًا فتجذبه شهوته مرة أخرى ليغرس رمحه حتى آخره، وهو يتأمل الوجه الملائكي الذي بدأ يتقلص استعدادًا لاسترداد الوعي الغائب.

معرفته ببدء استعادة صاحبة الجسد وعيها حفزه أكثر على إنهاء ما بدأه، فراح يولج شيئه بقوة وسرعة عظيمتين، وهو يتأوه مُتلذذًا حتى تدفق السم سائلًا لزجًا من فم أفعاه، فخارت قواه من عظمة ما اجتاح جسده من نشوة، وسقط بجسده فوق الجسد الأنثوي الواهن يحتضنه بقوة، وكأنه لا يبتغي منه فكاكًا.

انتهت تجربته العظيمة التي اختبرها للمرة الأولى، فنزل بجسده عن الجسد الراقد وراح عقله يعمل بسرعة حتى يمكنه أن يخفي آثار فعلته... يمسح سائله اللزج عن عضوه ويرتدي ملابسه ومعطف الأطباء الذي دنسه، ثم راح يمسح سائله عن جسدها ويلبسها الجونة وكأن شيئًا لم يحدث!

وقف أمامها قليلًا يحاول التماسك وفي داخله تشتعل حرائق الأفكار تلهب عقله الذي استيقظ من غفوته الاختيارية الإجبارية، راح يتأمل ملامح وجهها الملائكي البريء وقسماتها المليحة، وفي قرارة نفسه كان يُفكر أنه لولا إدراكه من خلال ما فعله معها أنها ملكٌ لغيره وليست عذراء، لكان تزوجها لا للتستر على جريمته فحسب، ولكن لأنه شَعَرَ بأنها ملكٌ له من البداية، وأنه غرق في بئر شهوتها العميقة، من دون أن يدري لذلك سببًا ومن دون أن يدري عنها شيئًا!

بأنامله المدربة راح يضغط جبينها ما بين حاجبيها، ويفرك بأصبعيه شحمتي أذنيها استدعاءً لوعيها الغائب، فبدأت ترفع جفونها بتثاقل لتبرز من خلفهما عذوبة عينيها الساحرتين.

تأمل ملامحها لدقائق، ثم عدل من هندامه وخرج من الغرفة بوجهه المحمر وشتات أفكاره وارتباكه الشديدين، ليستقبله والدها بابتسامته العذبة مُهللًا، ثم اقترب منه وصافحه وهو يقول:

- شكرًا لك يا دكتور... لقد أنقذت حياة ابنتي.

ارتبك الطبيب "حازم" بشدة، وفكَر في نفسه:

«آه أيها الرجل الطيب.. لو تعلم ما فعلته مع ابنتك المسكينة لقتلتني بدلًا من أن تشكرني».

حاول إخفاء ارتباكه وإخراس صوت ضميره، فسأل محاولًا مغالبة صوته الداخلي:

- هل كانت تُعاني التهاب الزائِدة منذ فترة كبيرة؟

- لا أعلم حقًا يا دكتور، فهي تحيا في منزلها وحيدة حتى بعد وفاة زوجها.

عبارة "فايز" والد الفتاة أعادت جموح الأفكار إلى عقله مرة أخرى، إذًا يُمكنه الزواج بها، فهي أرملة تحيا وحيدة بلا رجُل، عَلت الابتسامة شفتيه، لكنها سريعًا ما تلاشت لدى رؤيته الصليب المدقوق على رسغ مُحدثه الأيمن.

تزاحمت الأفكار في عقله وتضاربت المشاعر في قلبه، يا له من يومٍ عجيب بدأه بالحديث مع والده عن المُعاملة الحسنة التي يجب أن يُعامل بها أهل الكتاب، ليجد نفسه في اليوم ذاته يغتصب امرأةً من أهل الكتاب! شعر لدقائق قليلة أنه يود الزواج بها!

# (2)

## ذكرى أسعد الأيام وأتعسها

إلى جوار الفراش الذي استلقت عليه لتريح جسدها بعد عودها من المستشفى وإجراء جراحة استئصال الزائدة الدودية لها، جلس "فايز" يتفرس في ملامح ابنته الغالية بشفقة، بعد كل ما أصابها في حياها من ضيقات بدأت معها منذ ولادها.

آه من يوم ولادها! راح عقل "فايز" يسترجع ذكريات ذلك اليوم الحزين، الذي يتمنى زواله للأبد من عقله، ولكن ما بيده حيلة، ظل اليوم الكئيب عالقًا بذاكرته يؤلمه كلما تذكره.

ففي ذلك اليوم عندما كان "فايز" يعمل عاملَ بناءٍ مستقرًّا في قرية "العور" بمحافظة المنيا، التي ما كان لأهلها البُسطاء بجلابيبهم الفضفاضة سيرة سوى "سمرة" زوجته، الذي أنعم الله عليها بالحَمل بعدما بقيت ثلاثة عشر عامًا عاقرًا.

ومع دنو شمس الغروب المائِلة للاحمرار من معقلها، حيثُ تَبيت كل ليلة لترتاح وتُريح أشعتها الذهبية المُنهكة من بَث دفئها ونورها للناس طوال اليوم، سمع "فايز" وهو جالسٌ أمام باب داره المَبني من الطين والمُسقف بأعواد الجريد، يُدخن الجوزة مع جاره وصديقه وبئر أسراره "عبد المُعطي" صياح "صفية" زوجة هذا الأخير، ورآها تأتي نحوهما مُهرولة، فانتفضا الاثنان من مكانهما يسألانها عما حَلّ بها وما سبب صياحها.

وقفت المرأة بعباءتها السوداء المُزركشة بالذهبي أمامهُما لثوانٍ تُحاول فيها أن تلتقط أنفاسها، فلم يُمهلها زوجها وهَبّ فيها قائلًا:

– ماذا حدث يا مَرة؟!. لماذا تصيحين هكذا يا فقرية يا بنت الفقرية؟!

التقطت "صفية" أنفاسها المُتقطعة بصعوبة، وكأنها لم تلحظ سؤال زوجها لها، وَجّهَت نظراتها إلى "فايز" المذعور وقالت وهي تُشير إلى الدار:

– زوجتك سمرة بتولد يا سِي فايز.

لم تنتظِر أن تسمع منه ردًا أو ترى فعلًا، أشعَلت فتيل قلبه بجُملتها وهرعت إلى داخل الدار لإحضار الماء الساخن اللازم لعملية الولادة، بينما تجمد هو في مكانه وكأنه فقد القُدرة على النُطق أو حتى استيعاب ما قالته، فرَبتَ "عبد المُعطي" على كتفه وقال:

– وحياة سيدنا النبي عليه أفضل الصلاة وأشرف السلام هذه هي المرة الأولى التي تأتيني فيها غُراب البين هذه بخبر حلو، اجلس يا فايز يا أخي، نشرب حجرين وإن شاء المولى نصف ساعة أو ساعة وترى ولدك، مُبارك لك يا أخويّ.

عادا "فايز" و"عبد المُعطي" إلى جلستهما الأولى على الأرض، وأمسك الأخير بقصبة الجوزة ووضعها بين شفتيه الغليظتين وسحب منها أنفاسًا طويلة، فكركرت المياه في المرطبان الزُّجاجي الصغير، بينما غاص الأول في أفكار لا حصر لها، لا يُصدق ما قالته غراب البين بنت الفقرية "صفية" زوجة "عبد المُعطي" بأنه أخيرًا سوف يُصبح أبًا بعدما ظل ثلاثة عشر عامًا يروي أرض "سمرة" الجدباء بمائه من دون أن يرى حصادًا!

وعلى الرغم من فقره المُدقع إلا أنه كان راضيًا بحاله، قنوعًا، لا يَنقصه سوى أن يرى له ولدًا ليكون رضاؤه تامًا لا تشوبه شائبة.

ثلاثة عشر عامًا مُنذُ تَزوج يحلم فيها أن يرى له ولدًا وها هي "سمرة" تَفعلها بعدما دنا اليأس من التملُك من قلبه.

مدَّ "عبد المُعطي" يده لفايز بقصبة الجوزة، فأبعدها هذا الأخير عنه ونهض من مكانه، ثم نَفض الغبار العالِق بجلبابه من جلسته على الأرض، واتجه نحو الدار، فسأله الأول إلى أين يمضي فأجابه بأنه يُريد أن يغسل وجهه بالماء، فما عاد يطيق حرارة الجو.

بَقي "عبد المُعطي" في مكانه يَسحب النَّفَس تلو الآخر، فتُكركر الجوزة لتَعزِف لحنًا يُدندن عليه بصوته الأجش موالًا من مواويل "أبي زيد الهلالي" الفارس المغوار الذي لا يُشق له غبار.

سار "فايز" بخطوات بطيئة يتلمس طريقه كأنه لا يعرف إلى أين يذهب، دَلف من باب الدار فتعالى صوت صرخات "سمرة" في أذنيه، انعطف إلى

اليسار نحو باب المندرة، دخلها وسار مُستندًا على الدكك الخشبية المُتراصة أمام بعضها، حتى وصل إلى الصورة المُعلقة على الحائط، فوقف أمامها ونظر إلى الملامح الطفولية البريئة لذلك الصغير الذي تحمله أمه على ذراعها اليسرى فتكون هي عن يمينه.

نظر إلى عيني الأم، فشعر بأنهُما تنظران إليه ورأى الابتسامة الهادئة العذبة ترتسم على شفتيها، فرفع يديه إلى السماء بينما عيناه مُثبتتان إلى عَينَي الأُم، وقال والدموع تتساقط من مُقلتيه:

- يا أُم النور يا والدة الإله المُتجسد، ربنا وإلهنا ومُخلصنا يسوع المسيح، ابعثي راحةً إلى قلبي، فما زلتُ لا أشعُر بالسعادة التي يجب أن أشعُر بها حتى بعد أن حملت سمرة وحان وقت ولادتها، قلبي يأكلني عليها ولا أعلم ما السبب، يا أُم النور الرحيمة أقيميها بالسلامة هي ومن في بطنها، فأنا ما طلبتُ من الدُنيا شيئًا سوى ذلك الطفل، أحيطيهما برعايتك يا أُم الرعاية والعَطف، بشفاعتك لنا يا أُمنا وأُم إلهنا ندعوكِ بدالة البنون، اللهم اجعلنا مُستحقين أن نقول بكل شُكر يا أبانا الذي في السموات، يتقدس أسمك، ليأتِ ملكوتك كما في السماء كذلك على الأرض، خُبزنا كفافنا أعطِنا اليوم، واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضًا للمُذنبينَ إلينا، ولا تُدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير، بالمسيح يسوع ربنا لأن لكَ المُلك والقوة والمجد إلى الأبد آمين.

حَرك يده إلى جبينه وبطنه ثُم إلى كتفيه راسمًا على الهواء علامة الصليب، ومسحَ دموعه عن وجهه، ثُم عاد إلى حيثُ كان جالسًا مع "عبد

المُعطي" الذي راح يضع قطع الفحم المُشتعلة فوق المعسل، ثم وضع القصبة الخشبية في فمه وسحب منها أنفاسًا طويلة نفثها في الهواء.

جلس "فايز" إلى جواره على الأرض وجذب قصبة الجوزة من فمه، فقال الأول مازحًا:

– لا أرى أثرًا للماء على وَجهك وما بَلل حتى شارِبك، حقًا أنك من النوع الذي لا يعرف النظافة مهما اغتسل!.

لكزه "فايز" في كتفه، ثم وضع قصبة الجوزة في فمه وسحب منها أنفاسًا مُتقطعة وقال من بين الدخان الذي يخرج من فمه وأنفه:

– قلبي يأكلني يا عبد المُعطي يا أخويّ، صُراخ سمرة في أُذنيّ يُشعل نار قلبي خوفًا.

قال "عبد المُعطي" وهو يُعيد لَف العِمة حول رأسه الأصلع:

– لماذا يأكُلك قلبك؟ المَرة بتولد.. أما يجب عليها أن تصرُخ وهي تلد يا ابن الكلب؟!.. قلبك نيئ!

ثم سحب الجوزة من يده وهو يستطرد في مزاحه قائلًا:

– شربت الحجر كله وتقول قلبك يأكلك؟! إن شاء الله تأكلك نار جُهنم يا آكل ناسك!

داخل الدار وفي الغُرفة الصغيرة بأثاثها البسيط القديم، انطرحت "سمرة" السمراء النحيلة على فِراشها، يتفصد العَرق عن جبينها وتتأوه،

بينما تُحاول "صفية" أن تُخرج الصغير من أحشائها، يتشَبث بالحياة في بطن أمه فتصرُخ مُحاولة دَفعه خارج أحشائها:

– يا عذراء.... يا أُم النور.

تُحاول "صفية" أن تجذبه للخارج حتى تنجح في النهاية وتنتزعه من الحياة الدافئة الرحبة في الداخل إلى تلك القاسية الضيقة في الخارج، تضرب ظهره ثلاث ضربات سريعة وهي تقبض عليه من قدميه مُتدليًا مقلوبًا، فينطلق بُكاءه ليتردد صداه في الغرفة، تُقربه من ناظري أمه التي تتحسسه وتُدقق النظر لترى إن كان ولدًا أم بنت، تقول بكلمات مُتقطعة وصوتٌ واهنٌ من بين أنفاسها المُتلاحقة السريعة وألمها الشديد:

– شـــ... شـــ... شـــ...

تُقرب "صفية أُذنها منها لتتمكن من السمع وتسألها:

– ماذا تقولين يا أُختي؟

– شـــ.. آه.. أوه... شـــ... هوه.

في الخارج سمع "فايز" صوت بُكاء الصغير فانتفض من مكانه وسقطت الجوزة على الأرض ليتحطم مرطبانها الزجاجي إلى مِئات القطع المُتناثرة، فهَب "عبد المُعطي" من مكانه ونفضَ عن جلبابه ماء الجوزة الذي تَفوح منه رائحة المعسل، واحتضن الأول بحرارة وقال:

– مُبارك لك يا أخي، ها هي العِظام الزرقاء قد زادت واحدة!.

صوت بُكاء الصغير وهمنئة "عبد المُعطي" له أفقدا "فايز" صبره، فركض ليرى صغيره الذي انتظره ثلاثة عشر عامًا كاملة، فاستقبلته "صفية" أمام باب الدار وعلى ملامحها السمراء يتجلى الحُزن في أقسى صوره، تتساقط الدموع من عينيها المُحمرتين، ومدت له يديها باللفافة البيضاء التي لفَت بها الصغير وقالت:

– ليس مكتوبًا لها أن تُرضع صغيرها يا حبة عيني.

– صغيرها؟!

صرخ "فايز" في وجهها مُتسائلًا بذات الكلمة التي اقتحمت أُذنيه ودهمت قلبه، وما كان قد استوعب الأمر بعد، فأشارت "صفية" برأسها في أسف وقالت والدموع تنهمر من مُقلتيها:

– عادت روح سمرة إلى خالقها بعدما وضعت وليدها بثوانٍ وكأنها المسكينة يا حبة عيني وهبتها حياتها هي، وآخر ما أوصت به أن تُسمى الصغيرة "شهوة".

***

## (3)
# شهوة

في الأيام التي تلت إجراء الجراحة، التقى الطبيب "حازم" بشهوة أكثر من مرة في أثناء قيامه بتغيير ضمادات جرحها، ولكنه لم يجرؤ مرة واحدة على مصارحتها بما يعتمل في قلبه من انجذاب غير مسبوق تجاهها، حتى أنه لم يجرؤ على سؤالها عن اسمها إلا في مرته الثانية.

– شهوة.

اسمها "شهوة" وهو الاسم الأنسب لها بين جميع اسماء الإناث، "شهوة" وهي شهوة بالفعل، فجمالها الصارخ لا يمكن لذكورة أي رجل تجاهله، من يمكنه أن يرى ذلك الجمال الساحر ولا يأسره؟!

العينان الرماديتان المائلتان إلى زرقة خفيفة في خلفية بشرة تميل إلى السمار، تعطيان صورة ساحرة للانجذاب، الذي يشعر به كل من تلتقي عيناه بهاتين العينين. الأنف الدقيق الذي يكاد ألا يظهر داخل قرص وجهها الدائري،الشفتان الشهيتان كحبات الكرز اللتان تجذبان شهية جوعى الرجال إلى تذوقهما، ذلك بخلاف تضاريس جسدها التي ما امتلكت امرأة مثلها من قبل.

اسمها "شهوة"، وقد أسقطته شهوتها في غرامها رغمًا عنه، حتى بعدما ذاق روعة نوالها، لم يكتفِ وبقي حالمًا يشتهي المزيد من ذلك الجمال الأخاذ.

أرملة هي، مات زوجها منذ أقل من ثلاثة أشهر، هذا ما عرفه "حازم" من خلال تقصيه عنها، ولا يعرف كيف لرجل امتلك جنة الجمال الكامل، أن يغادرها إلى حياة أخرى بعيدًا عنها؟! لو كان مكانه! ترى ماذا كان بإمكانه أن يفعل أمام سطوة الموت؟! ربما كان ليموت وهو يضاجعها وينهل من خيرات شهوتها الغزيرة! وما أدراه أن زوجها الراحل لم يفعل؟!

ربما هو قدره العجيب الذي ساق زوجها إلى الموت، ليتيح له نوال خيرات جسدها العامر، ولكن كيف له أن يفعل وهي تختلف عنه في الديانة؟! وما المانع في ذلك؟!، فالإسلام لا يحرم زواج المسلم بغير المسلمة، أو ربما كان بإمكانه محاورتها لإثنائها عن اعتناق المسيحية ودخولها إلى ديانته، فيكفر بذلك عن جرمه الذي ارتكبه في حقها على فراش المرض!

أفكار كثيرة تتصارع في عقله، وتساؤلات لا إجابة لها تعصف به، لا أساس لها إلا سطوة شهوتها الغاشمة الحارقة، التي أحرقت ذلك الطبيب المتعقل في داخله واستبدلت به آخر شهواني لا هم له سوى إشباع شهوته بنوال جسد "شهوة".

طلب منها رقم هاتفها بحجة الاطمئنان على مريضته، فوافقت وتبادلا المحادثات الهاتفية، هاله استجابتها لإطرائه المستمر وغزله المستتر في كلماته، يبدو له أنها هشة من الداخل، ربما كان ذلك بسبب وفاة زوجها

واحتياجاتها الأنثوية العضوية، ربما كان السبب قصة حب سابقة ذكرها وجوده بها، لا يعرف ولا يهتم أن يعرف، فقط يتمنى مواصلة الحديث معها والتقرب إليها رويدًا رويدًا، حتى يتمكن من نوالها مرة أخرى.. أو قل نوالها للأبد! فهو لا يرغب في قطف ثمار جسدها المزهر مرة أخرى فحسب، بل يتمنى إسكانها دائمًا في حضنه.. زوجة له، وجنة يخلد وجوده فيها.

استمرت محادثاته الهاتفية معها، حتى بعد أن تعافت تمامًا، وتطور الأمر إلى لقاءاتهما أكثر من مرة، حتى شعر "حازم" أن الطريق إلى قلبها مُمهد، وأنها تُكِن له إعجابًا يسعى هو إلى تطويره إلى قصة حب.

بدأ تنفيذ خطته في كسب قلبها بكلمات الإعجاب التي تستميل قلوب النساء والتي تطورت مع الوقت لغزل مستتر، فآخر صريح، وإلى جانب ذلك بدأ يقرأ في كتب مقارنات الأديان، حتى يتسنى له زعزعة اعتقاداتها التي رأى أنها مزعزعة من الأساس، فهي لم تكن من النساء شديدات التدين والاطلاع.

يتردد على بعض الشيوخ يعرف أكثر عن الإسلام والمسيحية والاختلافات الجوهرية بين الديانتين.. يشاهد ما تبثه الفضائيات من برامج عن الأديان والاختلافات بينها، ومن ثم بعد أن يرق قلب "شهوة" مع ما يلقيه على مسامعها من غزل وهيام ورغبة جامحة في الالتصاق بها، يبدأ حواراته الدينية معها محاولًا إثارة الشكوك في قلبها حول ما تعتنقه.

أحيانًا كثيرة كانت تصغي إلى ما يقوله وتعجز عن الرد على ما يطرحه عليها من تساؤلات، أحيانًا أخرى كانت تنسحب بخفة وعدم رغبة في عقد المقارنات، جاذبة أطراف الحديث تجاه ما يروق لها سماعه.. كلمات الغزل.

- شهوة.. لا أتصور حياتي من دون وجودك فيها، ولا يمكنني مواصلة حبك بلا أمل في اجتماعنا تحت سقف واحد يظلل قصة حبنا.. فالحب بلا أمل أقسى أنواع الحب، وأنا أحببتك يا شهوة.. أحببتك بصدق ولا أطلب سواك من الحياة.

- وأنا أيضًا أحبك يا حازم.. ولكن..

- ليس هناك لكن.. لا أطلب منك سوى أن تكوني لي دائمًا.. حتى إن استقر بك الحال كما هو على ديانتك فلن أتركك إلا وأنت زوجتي.. فالإسلام لا يحرم زواجنا بغير المسلمات.. وأنا لا أطلبك في الحرام ولكن بشرع الله.

- شرعك غير شرعي يا حازم..المسيحية تحرم الزواج بأصحاب الأديان الأخرى.

- لن أتنازل عنكِ يا شهوة، فأنتِ شهوتي من الحياة.

ما إن سمعت "شهوة" عبارة "حازم" الأخيرة، والتي تعلق بذاكرتها منذ نعومة أظفارها، حتى انهارت كل حصون رفضها، ومن دون أن تتحكم في السيطرة على كلماتها، وجدت نفسها تقر:

- حازم.... أنت ديني.

# (4)
# شهوة الحياة

- أنتِ شهوتي من الحياة.

آه من تلك العبارة الساحرة، التي كلما ترددت في عقلها تعود بها الذكريات إلى أيام كان الحلم فيها حقًا مشروعًا لها، أيام زياراتها القصيرة إلى قرية "العور" بمحافظة المنيا لزيارة قبر والدتها، التي رحلت قبل أن تهبها حنان الأمومة، فما وجدته إلا في حضن حبيبها الأول.. حبيبها الأخير.. حبيبها الوحيد "ميلاد مكين".

- أنتِ شهوتي من الحياة.

تلك كانت دائمًا هي عبارته الوحيدة التي تلخص أطنان حبها في داخله، ربما نشأته الريفية القاسية هي ما كانت تُلجِم لسانه عن النطق بكلمات الغزل التي تعشقها، ولكنها كانت تكتفي دائمًا بعبارته الوحيدة التي تجود عن كل الكلمات، كل الأشعار، وتبث فيها كل المشاعر، كل الشوق، كل الحب.

- أنتِ شهوتي من الحياة.

أيام كانت تستلقي إلى جوار حبيبها "ميلاد" على رمال حوش المقابر، إلى جوار شاهد قبر أمها الصامت، كانت تعتقد وقتها أن شاهد القبر لم يكن شاهدًا على وجود جسد أمها تحت ما يرقدان عليه من رمال، بقدر ما كان شاهدًا على موتها وحبيبها عن العالم، وتعلقهما بجنة الحب.

كان شاهدًا على نظرات الشوق والهيام المتبادلة بينها وبين "ميلاد".. كان شاهدًا على القبلة الأولى، وآه من تلك القبلة الأولى!

يوم تجرأ ذلك الصعيدي الأسمر "ميلاد" واعتدل من رقدته إلى جوارها على حين غفلة، وقد جرفه شوقه إلى أن يذوق طعم ثمرة شفتيها، وما إن حدث التلاحم الأسطوري بين الشفاه العاشقة، حتى سرت رعشة اللذة المحمومة في أوصالهما، فضمته بقوة إليها تطلب المزيد، من دون أن تنبس بنت شفة، ولكن "ميلاد" كان أكثر نبلًا من أن يقطف ثمرة بكورتها خلسة، فانتفض عنها ونظر إلى ملامحها الرقيقة وقال بصدق:

- أنتِ شهوتي من الحياة ولا يمكنني أن أنالك خلسة، ليس قبل أن تزفك قرية العور كلها إلى حضني.

ضمته إليها وقد هزت كلماته جدران قلبها الهش، ولكن تأتي الرياح دائمًا بما لا تشتهي سفن الأحبة، ضبطهما والدها "فايز" متعانقين في أثناء زيارته المفاجئة إلى قبر والدتها "سمرة".

جن جنون الرجل فانهال عليها ضربًا وركلًا، فما كان من "ميلاد" العاشق إلا أن حماها بجسده وتحمل عنها ضربات والدها، ولم يقبل أن يتركها فريسة سهلة بين يديه، فحضر في مساء اليوم نفسه مع والدته ووالده المعدمين إلى دار "فايز" يطلب الزواج من ابنته.

كان "فايز" على وشك الموافقة على طلب "ميلاد" في الزواج من ابنته، لولا تدخل زوجته الثانية "عفاف" بمنغصات كلامها ولسانها السليط، تنعت "ميلاد" وأهله بالوضاعة وتصفهم بأنهم أقل شأننا مما جاؤوا في طلبه، فهم يطمعون فيما يملكه زوجها، وبوضعها كزوجة أبيها، فهي في حكم أمها، وهي ترفض مثل هذه الزيجة غير العادلة، فلديها لشهوة رجالًا يناسبونها أكثر من حيث المكانة والقدرة المادية، لا رجلًا سعى إلى تدنيسها بين شواهد القبور!

ولم يكن هؤلاء الرجال الذين تحدثت عنهم "عفاف" سوى رجل واحد هو "رمزي" ابن عم "شهوة" الثري، الذي يغدق أمواله الكثيرة على "عفاف" من دون حساب، حتى تسعى لتليين قلب "شهوة" من ناحيته.

لم يكن الأمر بمثل هذه السهولة بالنسبة لفايز، فهو يعلم جيدًا أن ابنته لا تقبل الزواج بابن عمها، ولكنه أيضًا لم يكن ليقوى على الرفض، حيث إن أخاه "راضي" والد "رمزي" هو سبب ما هو فيه من ثراء، وهو من زَوَجه من "عفاف" أخت زوجته بعد رحيل "سمرة"، حتى أنه – فايز – يذكر لقاءه مع صديقه "عبد المعطي" الذي أقنعه فيه بالسفر إلى القاهرة

والعمل مع "راضي" بدلًا من بقائه وحيدًا في قرية "العور" بعدما رحلت الغالية "سمرة" تاركة وراءها حملًا ثقيلًا وهو الطفلة الرضيعة "شهوة".

"شهوة".. يا له من اسمٍ لا يليق بعادات الجنوب وتقاليد الصعيد الجافة الخشنة! لا يعلم إلا الله لماذا أوصَت "سمرة" قبل وفاقها أن تُسمى الصغيرة بهذا الاسم، ولكنها وصية الميت التي يجب أن تُحترم، إذًا فلتُسمِّ الصغيرة "شهوة".

ربما كان السبب في أن توصي "سمرة" بذلك قبل موتها أنها كانت تشتهي أن يكون لها نسلًا من أحشائها، فما إن حدث ذلك حتى أتمت شهوتها وانطلقت روحها إلى خالقها، أو ربما كان الأمر فهمًا خاطئًا من "صفية" زوجة "عيد المعطي" لتأوهات "سمرة" رحمها الله!

يوم رأى "فايز" وجه طفلته للمرة الأولى كان اليوم الثالث مُنذُ أن وارى التُّراب جسد "سمرة" قد انقضى ورحلت جموع أهل البلدة الذين جاؤوا لتقديم واجب العزاء بصُحفهم المُحمَّلة بالطعام، كُلٌّ بقدر طاقته كعادة أهل الجنوب في المآتم، وبقي "فايز" وحده في الدار الصامت الذي خَبَت أضواء الحياه في داخله.

وقف أمام صورة العذراء الأُم التي تحمل صغيرها على ذراعها، يُعاتبها ويُناجيها، ويطلب منها المشورة:

– لماذا يا أُم المُخلص؟! أتُعطيني روحًا فتأخُذينَ روحي عوضًا عنها؟! ماذا أفعلُ من بعدك يا سمرة؟ يا ليتك ما حملتِ ولا ولدتِ وبقيتِ معي، يا

ليتني ما ضاجعتك ولا سقيتُ أرضك يا سمرة، كيف لي أن أربي تلك الصغيرة اليتيمة النحس وجه الفقر؟! صفية أخذها ودارت بها في قرية العور كُلها أرضعتها من أثداء غير ثدييكِ يا أختي، نصارى ومُسلمين أرضعوها، ابنتك وأول وآخر صبرك تتسول قطرة اللبن يا سمرة.. آه يا سمرة.. يا ليتني مُتُّ وبقيتِ أنتِ، ماذا أفعلُ من بعدك يا أختي؟! ليتكَ ما وُلِدت ولا عشت ولا كُنت يا فايز يا ابن عزيز البطرُسي، يا ليت البطارسة كلهم ماتوا وبقيتِ وحدك يا سمرة.

صوت نهنهته وبكائه جذبا سمع أخيه "راضي" الذي كان قد جاء من القاهرة لمواساته والوقوف إلى جواره في عزاء زوجته.. اقترب منه هذا الأخير حتى وقف خلفه تمامًا وربتَ على كتفه، ثم جذبه برفق من ذراعه وقال:

- لا تبكِ يا فايز، أنت لست طفلًا يا أخي، أنت الآن مسئول عن طفلة رضيعة، يجب أن تلتفت إلى نفسك وتتنبه إلى مصلحتك ومصلحتها.

أجلسه إلى إحدى الدكك الخشبية المفروشة بالحُصر واتجه نحو صنبور المياه أمام باب المندرة إلى اليسار، فقام بغسل برطبان الجوزة الجديد، ثم وضعه إلى جوارهما على الدكة وجلس إلى جوار أخيه ونادى زوجته قائلًا:

- هاتِ الفحم يا مَرة وأعملي لنا كوبين من الشاي.

ما هي إلا دقائق وجاءت "عايدة" زوجة "راضي" براكية فُخارية فيها فحم مُشتعل، ومضت لتُحضر الشاي، فقام هذا الأخير بوَضع المعسل على

الحجر الفخاري الصغير، ثم وضع قطع الفحم المُشتعلة فوقه، بينما عادت زوجته بعد قليل بصينية بلاستيكية تحمل كوبين من الشاي الصعيدي المغلي.

سحب "راضي" نفسًا واحدًا من الجوزة، ثم ناول قصبتها لأخيه وقال:

– أنت ما زلتُ صغيرًا يا أخي وتلزمك مَرة فلا يُمكنك تربية الصغيرة وحدك.

وضع "فايز" الجوزة جانبًا وقد ظهر الضيق في ملامحه ونظراته الغاضبة، سعل وكأنه يطرد ما قاله أخيه وقال:

– جسد سمرة الذي أكله التراب ما هضمه بعد وأنت تطلب مني أن أتزوج؟! راعي حُرمة الموت يا أخي.

أمسك "راضي" بالجوزة وأعادها إلى يَدَي أخيه مرةً أُخرى، ثم ناوله كوب الشاي وأخذ لنفسه الآخر وقال:

– يا أخي الحَي أبقى من الميت، ما يشغل عقلي الآن هو هذه البنت الصغيرة، والمسيح الحي لو كان الأمرُ بيدي لقُمتُ أنا بتربيتها ولكن حِسك في الدنيا، ونحنُ الرجال لا قِبَل لنا ولا دراية بتربية الأطفال.. تلزمك مَرة تصونك وتصون ابنتك.

صمتَ قليلًا ثم استطرد وكأنه تذكر شيئًا آخر:

– ومن الحين سوف تأتِ معي إلى القاهرة، لا عيش لك الآن في العور، الرزق هنا شَحيح، ثم لماذا تُعذب نفسك وتعمل مع الغريب ممن يقتطعون

من جلدك ولا يعطونك حقك، أنا مُقاول كبير في القاهرة وأحتاجُ إلى عمالة، أنت أخي وأولى من الغريب.

- ولكن سمرة كانت....

- سمرة ماتت يا فايز، الله يرحمها والعذراء تُقَدِس روحها، تعال لتعمل معي وأُزوجك مَرة تصونك وترعى ابنتك.

شربا كوبي الشاي وتركه "راضي" وحده في المندرة بينما ذهب هو ليُلقي نظرة على سيارته ويقوم بتجهيزها للسفر، بينما حضر "عبد المُعطي" وزوجته التي تحمل "شهوة" الصغيرة على ذراعيها، ودخلا إلى "فايز" في المندرة، جلسا إلى جواره وقام "عبد المُعطي" برَص حجرًا من المعسل، بينما مدت "صفية" يديها اللتين تحملان الصغيرة إلى أبيها وقالت:

- ألن ترى ابنتك المسكينة يا سي فايز؟

انسابت الدموع من مُقلتيه ولم يستطع أن يُحرك عينيه لينظُر إلى ابنته التي لم يتفرس في ملامحها مُنذُ ولادتها، فصرخ "عبد المُعطي" في وجه زوجته بغضب قائلًا:

- امرأة نكدية حقًا، اذهبي في داهية يا بنت الكلب من هُنا، لسنا في حاجة إلى سماع نواحك يا بنت الفقرية.

هرولت "صفية" تحمل الصغيرة على ذراعيها إلى الخارج مذعورة، وتركتهما سويًا يشربان المعسل ويتحدثان.

كان "عبد المُعطي" هو الأقرب إلى قلب "فايز"، صديقان مُنذُ الصِّغر لم يفترقا قط، أفراحهما واحدة وأحزانهما واحدة، يعلم الأول ما في قلب الأخير من حُزن، وما يُعانيه من حيرة وتخبُط، كما يعلم أن "سمرة" رحمها الله كانت مرهمًا يُطيب جراح التعابى ويُريح قلوب الحزانى برغم ما كانت تُعانيه هي من ألم.

مسكينة لم تفرح يومًا، حتى إحساس الأمومة الذي تمنته لم تناله، وها هي قد غادرت الحياة وحطمت قلب صديقه بموتها.

"فايز" الذي رفض أن يترُك "العور" من قبل ليعمل مع أخيه في القاهرة وتحمل ضِيق الحال وقِلة القرش، ها هو بعد أن ماتت زوجته وما بقي له من أهل سوى أخيه وتلك الصغيرة، اختفت كل سُبل الحياة من أمام ناظريه وما بقي له سوى السفر والعمل مع أخيه.

سوف أفتقدك أيها النصراني الأسمر بضحكتك العذبة أسفل شاربك الضخم، سوف أفتقد ليالي الشتاء وسهراتنا معًا في الظّل نشرب الشاي والمعسل ونُدفئ أنفسنا بنار القَصعة، الله يرحمك يا "سمرة"، كان الشاي من يديها له طعمٌ مُختلف عن ذاك الذي تُعِده تلك البومة "صفية"!

سحب "عبد المُعطي" نفسًا طويلًا من الجوزة خاتمًا به سيل الأفكار الذي جمح بعقله، قبل أن يُناول الجوزة لفايز ويقول:

- أعرف ما تَشعُر به يا أخويّ، بالتأكيد طلب راضي منك أن تُسافر لتعمل معه، وأنت لا ترغب في السفر ولا أن تترُك المكان الذي جمعك

بسمرة الله يرحمها.. أنا أيضًا لا أُريدك أن تسافر، فلا يملأ رأسي كلام أحدًا في العور كلها غيرك ولكنها إرادة الله يا أخويّ، الله يرحمها سمرة ماتت وتركت لك حملًا ثقيلًا، راضي معه حق، هو يُحبك ويُريدُ لك الخير، افعل ما يقوله يا أخويّ، تزوج يا ابن الناس، تزوج حتى يُمكنك أن تُربي ابنتك، الواحد منا من دون مَرة يغرق في شبر ماء.

سحب الجوزة من بين يدي "فايز" ووضع قصبتها بين شفتيه وقال مُشاكسًا استجداءً لابتسامة صديقه:

– لا تُخبر صفية بنت الكلب بهذا الذي قُلته لك!

حتى الابتسامة التي دائمًا ما ترتسم على شفتيه عقب سماعه مُشاغبات "عبد المُعطي" لم تتمكن من الظهور هذه المرة، أومأ الأخير برأسه مُتفهمًا، ولكزه في كتفه بقوة وقال:

– يا أخي رُد عليّ... لا تتركني أُكلم نفسي هكذا.

تساقطت دموع "فايز" فمسحها بكُم جلبابه الواسع، وقال بنبرة مشروخة حُزنًا:

– ما عاد لديّ طاقة للرد على أحد، ولا حتى للتنفس والله يا أخويّ، كيف أتزوج من بعد سمرة؟! سمرة التي عاشرتها ثلاثة عشر عامًا ما رفعت عينيها في عيني ولا قالت كلمة واحدة لا ترضيني، سمرة يا عبد المُعطي... سمرة.

كان يتحدث وكأنه يهذي وبدأ يبكي بحُرقة، فما كان من "عبد المُعطي" سوى أن وضع الجوزة جانبًا، وبدلًا من مواساته بدأ يبكي معه ويمسح دموعه ومُخاطه في ياقة جلبابه ويُنهنه كالأطفال.

هو الذي ما كان يومًا مُعتادًا على البُكاء بل كان مِهزارًا كثير الهزل، ولكن الفاجِعة ما كانت فاجِعة "فايز" وحده.

"سمرة" كانت سَيدة نساء "العور" كلها، لا بأموال تملُكها ولكن بطيبتها التي لا مثيل لها بين بنات حواء، فبرغم فَقرِها وزوجها المُدقع ما كانت تترُك أحدًا في ضيقة إلا وهب لنجدته.

يذكُر "عبد المُعطي" ذلك اليوم الذي مرض فيه ابنه الصغير "سيد" وارتفعت درجة حرارته وتورمت قدماه، دخل ليلتها غُرفته ليطمئن عليه، فوجد زوجته "صفية" نائمة يَعلو صوت غطيطها، بينما "سمرة" ساهِرة تضع قطعة القُماش المُبللة بالماء المُثلج على جَبين الصَغير لتخفض من درجة حرارته المُرتفعة.

يذكُر يوم جاءته سرًا من دون عِلم زوجها وأعطته كِردانها الذهبي ليبيعه، حتى يتمكن من استئصال مرارته التي احتلتها الحصاوي وباتت تؤلمه، فما عاد لها مكان في جسده.

يومها بكى للمرة الأولى في حياته تأثُرًا، وما وافق أن يبيع كردانها، فكرامة الجنوبي الصعيدي أغلى عنده من الحياة ذاتها، وما كان يتوقع أن المرة الثانية التي سَيبكي فيها سوف يكون السبب موتها!

حاول "عبد المُعطي" أن يتماسك قليلًا وقال:

– اسمع يا أخويّ، سمرة كانت غالية على قرية العور كُلها، ولكن قدر الله وما شاء فعل، ابنتك الصغيرة لا تتوقف عن البُكاء، مسكينة فُطِمت عن صَدر أمها قبل أن تذوق لبَنه، انتبه لها يا فايز يا أخويّ، تزوج يا ابن الناس، البنت ما زالت صغيرة وإذا أنت تزوجت الآن ستكبر في حضن زوجتك الجديدة فلا يَفوتها إحساس الأمومة، قُل لي متى سوف يُسافر راضي إلى القاهرة؟

– غدًا في الصباح.

قال "فايز" فهَمهَم "عبد المُعطي" وكأنه يُفكر في أمرٍ ما، وبعد فترة من الصمت قال:

– اتركه يُسافر ويُرتب لك سكنًا ويجد لك زوجة مُناسبة وابقَ أنت في العور حتى أربعين سمرة، ثم خُذ ابنتك وسافر، لكن نصيحة مني يا أخويّ اختار الزوجة التي تُناسب ظروفك وتَقبل بها، فبنات القاهرة مائعات تُرِدن أن تسِرن على حَل شَعورهِن ولا يعرِفن مَعنى العيش.

***

وسافر "فايز" إلى القاهرة ليعمل مع أخيه "راضي"، ومرت أعوامًا عشرون وهما معًا تَغير حال "فايز" فيها وأصبح غير الحال.

الشاب الأسمر الطويل بجلبابه الفضفاض انحنى ظهره وما عاد قادرًا على العمل كسابق عهده.

أموال كثيرة صار يملكها فصارت تملكه وفقدَ معها راحة باله، أقلع عن الجوزة التي ما عاد لها طعم بعد ابتعاده عن "عبد المُعطي" صديقه، الذي ما رآه سوى في المرات القليلة التي زار فيها قرية "العور" في السنوات الماضية لزيارة قبر زوجته الحبيبة "سمرة".

فما إن تزوج "فايز" من "عفاف" أُخت زوجة أخيه "فايز" حتى تحولت إقامته بالكامل إلى القاهرة،تلك المدينة المُزدحمة بناسها وسياراتها وضجيجها وصخب الحياة فيها.

الحياة في القاهرة أبعد ما يَكون عن تلك التي كانَ يَحياها في "العور"، فَفي قَريته الصغيرة كان يَقضي يومه في العمل.. يأكل ويَشرب ويَسهر مع "عبد المُعطي" يُدخنان الجوزة وتلك هي وَتيرة الحياة المُعتادة، أما في القاهرة فالحياة سَريعة لا وقت فيها لإضاعته، ولا يمكن إنجاز شيء سوى بالشِجار الدائِم.

يتشاجر وهو يأكُل، يتشاجر وهو يَشرب، يتشاجر وهو يَتفِق مع العُمال، يتشاجر وهو يُحاسبهم ويُعطيهم أجورهم، كل هذا كومة وزوجته "عفاف" وحدها كومة أُخرى.

في صِغرِها أرضعتها أُمها نَكدًا لا لَبن، فجاءت إلى هذا العالم لتكون صورة مُتجسدة لإله النَكد، تتشاجر معه لأقل سَبب ولأي سَبب ومن دون سَبب!

"عفاف" كانت وَلادة، أرضها خصبة غَزيرة المَحصول، ما إن ارتَوَت بمائه حتى طَرَحَت له سَبعة بنين، فكانت "شهوة" هي البنت الوحيدة غير الشقيقة بينهم.

كون "شهوة" هي البنت الوحيدة بين أولاد سَبعة جعلَ منها خادِمة لَهُم جميعًا، وأولهم "عفاف" نَفسها، والتي قامت بتسخيرها للقيام بمهام البيت كلها وحدها.

أشفق "فايز" على ابنته ولكنه ما كان يَجرؤ على عِصيان أُم أولاده وإلا أخرجت "عفاف" طاقة النَّكد الكامِنة في داخلها وأعتَمَت شَمسه وأظلَمَت حياته وقَلبَت ليله نهارًا ونهاره ليلًا.

"شهوة" الفتاة الجميلة كانت اسمًا على مُسمى، ما رآها أحدًا إلا واشتهاها له وحده، سمراء كانت كأُمها، وَجهها الدائري كقُرص القَمر يُحيط بملامحها البريئة كأسوار تحتجزُ خلفها لَوحة الجمال الكامِل، العينين الواسعتين الرماديتين المائلتين إلى زرقة البحر ولهما طَعم مَلحه، مَن ينظُر إلى عينيها ولا تأسِرانه؟!

كمَن ينظُر إلى ماء البحر وهو ظمآن فيَشرَب منه حتى يمتلئ جوفه ولا يَرتوي ظمؤه، كذلك من ينظُر إلى عينيها الساحِرَتين، فتأخُذانه إلى عالَمٍ خيالي لا وجود له ليرى نفسه بَطلًا إغريقيًّا مُستعدًّا لمُقاتلة الآلهة نَفسها للفوز بذلك الصفاء الذي تبثانه هاتان العينان للكون، الأنف الدقيق الذي ما إن يأخُذ شهيقًا حتى تتوقف الكُرة الأرضية عن دورانها فَرِحَة بقبول هدية الهواء مُنتظرة زفيرها الذي يَهب حياةً للجمادات، الشفَتان الدقيقتان

اللتان ما إن يَبتعِدا عن بعضهما بعضًا لينطق لِسانها حتى تتطاير من بينهُما فراشات ساحِرة الألوان تخلب الألباب وتأسِر الأذهان.

كُتلة من التناقُضات كانت "شهوة".. هي المَرض الذي يُصيب القلوب فتُعلِن استسلامها للحُب، وهي الشِّفاء من كل قِصة حُب عاشها شخصٌ ما قبل أن يراها.. هي الأمل بأن هُناك ما تحيا لأجله ألا وهو الفوز بصاحبة هاتين العينين، وهي اليأس الذي يُحطم أفئدة كل من لم يُجدوا السَّبيل إلى قلبها.. هي الجمال الذي تراه جَليًّا في ملامحها وتضاريس جَسَدِها، وهي القُبح الذي تراه في العالم من دونِها.. هي الهدوء حيث يتجمد كل من يراها في مكانه ويصبح طَيِعًا خاضِعًا لنظراتها القَتالة، وهي العاصِفة التي تجتاح قلوب العاشقين وتفرِض سَطوتها على عقولِهم.

"شهوة" الرقيقة البريئة الحالِمة ما كانت تَعرِف مَعنى الأمومة، ولا كانت تَعرِف كيف هو حنان الأم، حتى في المرات القليلة التي زارت فيها قَبر أمها ما كان مُمكنًا للقبر الصامِت أن يُفسر لها معنى تلك الكلمة.. الأم.

وحده "ميلاد" بثها حنانه وحبه الصادقين، فباتت تهواه بكل جوارحها، تعد الأيام حتى يحين موعد الإجازة الدراسية، فتسافر مع والدها، إلى قريتهم الصغيرة وتلقى حبيبها.

مكان اللقاء لا يتغير.. أمام شاهد قبر أمها، وكأنها بذلك تجمع أحب اثنين إلى قلبها في مكان واحد.

أما عن خالتها "صفية" - كما كانت تُناديها - زوجة "عبد المعطي" صديق والدها، هي الوحيدة التي استطاعَت أن تصف لها كيف كانت أمها تتحلى بالطيبة والعَطف وصفاء القَلب.

كانت تحكي لها عن أمها "سمرة" وهي تذرِف الدموع التي سريعًا ما تبث عَدوتها لشهوة فتَبكي معها هي الأخرى، تبكي أمًّا لم ترها ولم تذق حنانها ولا لبن ثدييها.

هَربت "شهوة" من قَسوة "عفاف" زوجة أبيها باجتهادها في دراستها وقضاء وقتها في تحصيل دروسها حتى يُمكنها أن تُحَقِق حلمها في أن تُصبح طبيبة لتُداوي جروح الآخرين،عَلّ ذلك يُداوي جروحها هي ويجبر كَسرها وشروخ روحها.

تحقق جُزءٌ من حلم "شهوة" والتحقت بكلية الصيدلة، فإن لم يكن بمقدورها مُداواة جروح الآخرين، فعلى الأقل سَوف تُعطيهم الدواء.

أثار نجاحها حنق "عفاف" زوجة أبيها لِما رأته في أبنائها السبعة، الذين لا يُبشرون بأي نجاح، فحاولت أن تَبُث سُمها في عقل "فايز" لإثناء "شهوة" عن استكمال دراستها،فما للأنثى في الحياة سِوى الزواج، والزوج موجود رهن إشارة "شهوة".

هذه المرة وقفَ "فايز" في صَف ابنته وتَحَمَل ما أحاطته به "عفاف" من نَكد، فمهما يحدث فإن "شهوة" هي القِطعة الأخيرة الباقية له من زوجته الحبيبة "سمرة".

ولأن جمال "شهوة" الآسر يخلب الألباب ويُذهِب العقول، لم تستطع أن تحظى لها بصديقة واحدة من بين كل زميلاتها، غيرتهن من جمالها ونظرات الإعجاب التي أحاطَتها بها أعين كل شباب كُليتها أعمى أبصارهن، فتغلغل الحِقد إلى قلوبهن وأصبَحنَ يرينها قبيحة بقدر ما فيها من جمال!

مِئات المحاولات من شباب كُليتها في التودد إليها كلها باءت بالفشل، جمالها الأسمر الساحِر كان سببًا لنقمتها، فما إن تراها أعين الشباب حتى يتجلى اسمها في ملامحهم وترى الشهوة في نظراتهم وتفرُّسهم في ملامحها وتضاريسها، وما استطاع أحد منهم أن يدلف إلى قلبها بعدما سكنه "ميلاد" ولم يترك فيه مكانًا لآخر، ومهما تسمع من كلمات الغزل التي تعشقها، لم يستطع أي من شباب كليتها أن يُلقي بذرة الرومانسية التي طالما حلمت بها في عقلها حتى يُمكنه أن يجني محصول قلبها العامرِ بالطيبة والدفء.

كانت تحتاجُ إلى من يبقى دائمًا في احتياجٍ لها وتبقى هي في احتياجٍ له، لا من يحتاجها لبضع دقائق في فِراش الشهوة.

"رمزي" ابن عمها "راضي" كان هو العَقَبة الكُبرى في حياتها المليئة بالعَقبات، فصِلة القرابة التي تَربطه بها وثراء والده الفاحِش جَعلاه مؤهلًا للحصول عليها حتى مع مُحاولاتها المُستَميتة لرفضه.

ما كان مُمكنًا لأبيها أن يرد طلب أخيه الذي كان سَبَبًا في كل ما هو فيه من نِعمة، إضافة إلى ضبطها متلبسة بين أحضان ابن قرية "العور" الفقير

"ميلاد"، وهو ما جعله يود الإسراع في تزويجها تجنبًا لما قد تحمله الألسنة التي تبتغي مأتمًا تشبع فيه لطمًا!

تزوجت "شهوة" بابن عمها "رمزي" في السنة الرابعة لها في الكُلية بعدما وَعَدَها هذا الأخير أن يترُكها تَستَكمِل السِّنة الباقية لها، كما وَعَدَها أن يَفتتح لها الصيدلية التي طلبتها بعدما تُنهي دراستها.

كل طلباتها في زيجتها كانت مجرد حجج واهية تحاول الخلاص بها من موضوع الزواج ومن زوجة أبيها الشمطاء، ولكن "رمزي" كان جاهزًا لتلبية كل ما تأمر به "شهوة"، فوَعَدَها أن يفتتح لها الصيدلية التي طلبتها، وكان صادقًا حين وَعد فهو يعلم جَيدًا أن عَمله في المُقاولات لا يترُك له وقتًا، فربما تكون الصيدلية هي ما تشغل به "شهوة" وقت فراغها في غيابه.

كما أن الحديث في هذا الموضوع وقتها كان سابِقًا لأوانه، فهي ما زالت في العام الرابع لها ويبقى لها عام كامل قد تحمل فيه بوَلِي عَهدَه فتصرف نظرها عن طلبها هذا.

في الحقيقة كل ما كان يَشغل "رمزي" في زواجه من "شهوة" تلك الدقائق التي يَقضيها معها في الفِراش آخر كل ليلة بعد أن يضع تحت لسانه القليل من الأفيون ليزيد من عنفوانه ووقته في مُعاشرتها.

زواجها بابن عمها الثَّري كان سَبَبًا في تحطم قلوب كل شباب كُليتها، الأقباط والمُسلمين على حدِّ سواء، فكل قِبطي في دُفعتها كان يحلم أن تكون "شهوة" له وحده، كما راوَد ذات الحلم الكثير من شباب دفعتها

المُسلمين، فالإسلام لا يُحَرِّم زواج المُسلم بغير المُسلمة، حتى وإن لم يحدُث ذلك فلا يمنع ذلك من أن تزوره "شهوة" في خياله وتقضي معه وقتًا حَميميًّا حتى يَستَنمي في حضن طيفها!

في عامها الدراسي الأخير حملت "شهوة" فخَمَدَت شُعلة نشاطها الدراسي وتغَيَّبت عن مُحاضراتها كثيرًا، ولكن في الشهر الرابع من حَملها ذبلت ثمرة بطنها قبل أوان قِطافها وفقدت جنينها قبل أن تلده، فعادَت إلى نشاطها الأول وحَصلت على ما فاتها من مُحاضرات من زميلها "ميلاد"!

اسمه "ميلاد وجيه".. ربما كان انجذابها له بسبب تشابه اسمه مع اسم حبيبها الأول والأخير، ولكن الشاب الصيدلي "ميلاد" كان الوحيد الذي لم يُحاول أن يَقتَحِم ما خلف ملابسها بنظراته، فما إن يراها قادمةً نحوه حتى يُطرق برأسه للأرض وكأنه يتَحَصَّن بها دِرعًا أمام سِهام عَينَيها القَتالتين.

يبدو أن كل من يحملون اسم "ميلاد" يحملون معه نبلًا إجباريًّا يلتصق بأسمائهم.

لكن الحياة ما عادت كما كانت قبل أن تفقد جنينها، فها هو زوجها "رمزي" الذي ما كان يَلقاها سِوى في الفراش أصبح دائِم التَغيب عن عمله، وتغيرت ملامحه كثيرًا، زَحَف الشحوب إلى جسده وفقدَ الكثير من وزنه وازدادت عَصبيته حَد الجنون حتى وَصَلَت به في بعض المرات إلى ضربها.

تناقص عَدد حَبات الليمون غَير المُبرر من ثلاجتها جَعلها تشُكُ في أمرٍ ما، في البداية كانت تعتقد أن شهوته الزائدة قادته إلى التحرش بالنساء في مواصلات النقل مستخدمًا ثمرات الليمون كمبرر له في حالة كشف أفعاله، ولكنها عادت فأقلعت عن هذه الفكرة لأنها تعرف أن زوجها لا يستخدم وسائل النقل العام في تحركاته، كما أنه لو ود أن يمارس الزنا فباستطاعة أمواله أن تجلب ما يحلو له من العاهرات، ولكنها بخبرتها الطبية وحَدسِها الأنثوي بَدأت تُراقِب زوجها لتعرِف ما حل به، حتى تأكدت من شكوكها ورأته يومًا وهو يَحقِن نَفسه بسائِل الموت.. لقد وَقعَ زوجها في فَخ الإدمان الرَهيب.

***

## (5)

# ابن المقدِس وجيه

"ميلاد" الشاب الأسمر النّحيل كان سَعيدًا بما حَققه من نجاح في دراسته جَعله يَرتاد كلية الصَيدلة.

لم تكن سعادته ناتجة عن ارتياده لها، ولكن لأنه استطاع أن يُحقِق حلم والده المقدس "وجيه" بائِع الملابس المُتجول، فرؤيته لوالده الرجل العجوز الفقير وهو يَضع كومة الملابس الجاهزة على كتفه ليدور بها في قرية "النخيلة" وكل قُرى مُحافظة أسيوط المُجاورة كان دافعًا قويًا له للاجتهاد في دراسته، حتى يَتمكن من تَعويض والده عن كل ما رآه من قَسوة الأيام.

أما رَغبته الحقيقية التي لم يبُح بها لأحد سِوى القَس الذي يَعترف لديه هي الرهبنة.

كان يَوَدُّ لو يَترُك العالم بناسه وماله وانشغاله ويذهب إلى الصحراء الواسِعة ليتَرَهَب فيها ويَسكُن الجِبال بَعيدًا عن أضواء المدينة وضوضائها.

كُلية الصيدلة كانت تُشكِّل له عِبئًا كبيرًا، فهي من جِهة تحتاج إلى أموال أكبَر من طاقة والده الفقير على توفيرها، مما اضطر "ميلاد" إلى سَماع نَصيحة واحد من الصيادلة في بلدته، والذي كان يَمتلك صَيدلية كبيرة في القاهرة، باستكمال دراسته في جامعة القاهرة حَيثُ يُمكنه أن يَعمل لَديه في صيدليته بعد انتهاء وقت محاضراته، ومن جهة أُخرى كانت مُحاضراته إلى جانِب عَمله في الصيدلية يأخُذان جَل وقته فلا يتبقى لديه وقت يَقضيه في الصلاة والتَعبُّد تَمهيدًا لارتدائه زي الرُّهبان.

بَشوشًا هادِئًا زاهِدًا في كل شيء كان "ميلاد"، لم يَغضب من السكن في المدينة الجامعية مِثلما يفعل الباقون من زملائه المُغتربين من مُحافظات أخرى غير القاهرة، يَتَقاسَم الغرفة مع ثلاثة شَباب من بلادٍ مُختلفة ذات طِباع مُختلفة.

في الجامعة أحبه الجميع، فهوَ لا يَبخل على أحدٍ بما لديه من مُحاضرات أو أوراق مهمة، لا يُضايق أحدًا ولا يتضايق من أحد ولا يُحاوِل أن يَدسَّ أنفه فيما لا يَخصه، لذا كان هو الشاب الوحيد الذي جَرؤَت تلك الفتاة التي كانت محط إعجاب الجميع أن تطلب منه ما فاتها من مُحاضرات في أثناء فترة حملها وقبل أن تَفقِد جَنينها وتعود لمُتابعة مُحاضراتها مرة أخرى.

اسمها "شهوة"، وهي كذلك بالفعل، يَشتهيها كل من يَراها، جمالها أسر قلوب الجميع، أما هو فلَم يَستطِع جمالها سِوى أن يأسر عينيه ولكنه لم يَستطِع الولوج إلى قلبه الذي كان شَغوفًا بحُب الصحراء، ونذر على نفسه الترهب وعدم الزواج.

ما إن يراها "ميلاد" قادمة نحوه حتى يُطرق بناظريه للأرض ويتحصن ضد جمالها وفتنتها بالصلاة الصامتة في قلبه.

- يا من أخرجتني من نظرة العالم الشَهوانية وغَرستني في أصل شَجرة الحياة غير الدَّنِسة، اسقِني من عُصارة حُبك لأنمو فيك وأنمو لك وأثبت معك إلى الأبد، وأوجَد معكَ كل حين مُبتهجًا مع قِديسيك ومُسَبحًا مع ملائكتك بصوتٍ لا يَهدأ من تمجيد عظمتك، لأنه ينبغي لك التسبيح والتمجيد، يا رب ارحمني كعظيم رحمتك واصرِف وجهك عن خطاياي، أعِني يا رب على الموت وما قبل الموت وما بعد الموت، أعِني يا رب على ساعة خروج الروح من الجسد، أعني على لقائك والتَمَتُّع برؤيتك ساعة مجيئك المَرهوبة لتَستلِم وديعتك الطاهِرة للحياة الباقية، طلبتك من عُمق قلبي يا رب، حِل عَني كل رباطات الخطية، كُن لي مُعينًا لكي تُخلصني، صلاحك يُدركني سَريعًا، ظَلّل عليّ بظِل جناحيك، أسألُكَ يا إلَهي أن تُخلصني، رُد وَجهَك عن خطاياي وامحِ كل آثامي، أنت تَعرِف أفكاري وتَفحَص كليتاي، قَلبًا نَقيًا اخلقه فيّ يا الله وروحك القُدوس لا تَنزِعهُ مني، أمِل سَمعك إليّ واسمعني عاجلًا.

كان قلبه يَهدأ وتهدأ معه عاصِفة عَينيها الساحِرتَين، يُحادثها دائمًا وهو يَنظُر إلى الأرض، يُرَدِد صَلاته في قلبه.

أحيانًا كثيرة كانت تسأله عن شيء ما فلا يُجيبها لأنه لم يكُن قد سَمِع ما قالته لفرط انشغاله في ترديد صلاته.

يعلم أنها تبتعد عن الآخرين ولا تُحادث غيره ويَشعُر أن ذلك تجربة له، عليه أن يجتازها حتى يَكون مؤهَّلًا لوَضع قلنسوة[1] الرُّهبان على رأسه.

قَبيل امتحانات العام الدراسي الأخير رآها تَذوِي أمام ناظريه، مُشكلةٌ ما أحاطت بقلبها فسَمَحَت للشحوب أن يَتسَلَل إلى ملامح وَجهها البريء.

تمنى لو كان بإمكانه مُساعدتها ولكنه كان يَخشى مُحادثتها لئلا تُعثِر قَلبه بصوتها وتَشغَل عقله، فتَتَسلَّل إلى أفكاره وتُعيق سَبيله إلى حياة الطُّهر، فأعظم دِفاعات الرجال تَنهار أمام شَيطان الزِّنا، وكما قال الكتاب المُقدس عن الخطية «طَرَحَت كَثيرينَ جَرحى وكُل قَتلاها أقوياء».

طَلبت منه أن يأتيها بنتيجة امتحاناتها، فهي لا تستطيع أن تَحضِر إلى الجامعة بنفسها لسببٍ ما، احتفظت برقم هاتفه واحتفظ برقم هاتفها، وما حاول يومًا أن يَنظُر إلى رقمها في دليل هاتفه لئلا يَعلَق بذاكرته.

نتيجتها كانت صادِمةً بالنسبة له، فها هي "شهوة" التي اعتادَت أن تكون في مَصاف الأوائِل تَنجَح بصعوبة.

فرح بانتهاء الدراسة، وواصل عَمله في الصيدلية حيثُ يَعمل، فلا قُدرة مادية له على امتلاك واحدة باسمه ولا رَغبة له في ذلك، فما عاد يَفصله

---

[1] القلنسوة هي غِطاء رأس الراهب، وهي سوداء اللون مُحاطة بالصُّلبان من الجانبين، بينهما مــا يُشبه الخياطة، وهو تَمثيل أخذَ عن الراهب أنطونيوس الكبير الذي كانت الشياطين تُمَزق له غِطاء رأسه فَيعيد حياكته من المُنتصف.

عن حلمه في الترهب سوى والديه الفقَيرين اللذين يحتاجان إلى ما يُرسِله لهم مما يتقاضاه من راتب شَهرِي بعد ما يَصرِف ما يَصرفه في معيشته.

بعدما يزيد عن تسعة أشهُر من انتهاء الدراسة، وبينما هو واقِفٌ في الصيدلية، دَقَّ هاتفه فنظر إلى شاشته لتصطدم عيناه باسمها الذي كاد أن ينساه، ضغط زر استقبال المكالمة فأتاه صَوتِها الواهِن الباكي:

– ميلاد.. أنا شهوة.. أرجوك أحتاجُ إلى طبيب.. زَوجي ضَربني بشدة لأنني حاولتُ أن أمنعه عن أخذ جُرعَته من المُخدرات.. أرجوك يا ميلاد.. لا أثقُ بأحد غيرك.. عنواني هو..........

***

# (6)

# التعاقُد

تتهافَت كل القنوات التليفزيونية على التعاقُد مع الإعلامي "وليد مندور" الذي يَعني وجوده في أي قناة تليفزيونية أرباحًا خَيالية وأرقامًا فَلكية تَدخُل إلى خَزينة صاحِب القناة.

وَسيم الملامِح هو، في العقد الرابع من عُمره، أناقته تَفوق أناقة عارِضي الأزياء العالميين، تَخرج في كُلية الإعلام بتقدير امتياز، ومُنذُ أول برنامج له على الشاشة أيقَن الجَميع أنه الوَرقة الرابِحة لأي قناة.

سَنوات قليلة استطاعَ فيها "وليد مندور" أن يَجني ملايين الجُنيهات ويَذيع صيته ويشتُهر اسمه في العالم كله.

لا أحد يَعرِف كيفَ استطاعَ عَمل كُل ذلك في مثل هذا الوَقت القَصير، ولا أحد يَعرِف مِن أينَ يأتِي بأفكار برامجه التي تَجذِب المُشاهدين في كل أنحاء العالم.

خِلال السنوات الخَمس الأخيرة ظَلّ برنامجه "في الصَّميم" مُتربعًا على عَرش البرامج الأكثَر مُشاهدة في العالم، حتى اختلفَ معَ صاحِب القناة حَول ما يتقاضاه بعدما قرر أن يزيد أجره إلى رقم فلكي آخر لا تتحَمَل ميزانية القناة دَفعه.

في الحقيقة كان "وليد مندور" أذكى من أن يَترُك القناة قبل أن يَضع يده على عَقد أفضَل برقم أكبر في قناة أخرى، وكان العَقد جاهزًا في انتظار أن يُذَيله بتوقيعهـــ ومن ثم يبدأ في جَني الأرباح.

أحيانًا كثيرة كان يتردد على الصالونات الثقافية ومقاهي وسط البلد، كنوع من الوجود الثقافي الذي يزيد من شُهرته وتقربه إلى قلوب مُتابعيه، كما أنه كان يحب الاستماع إلى الشّعراء ويقرِض الشِعر أحيانًا.

وفي إحدى المرات قابل واحِدًا من أصحاب القنوات الشهيرة، والذي عَرَضَ عليه مَبلغًا خياليًا جَديدًا يُضاف إلى مَوسوعَة أرقامه الفَلكية مُقابل أن يوَقّع عَقدًا مع القناة.

سِر نجاح "وليد مندور" يَكمُن إلى جانب أفكار برامجه الجامِحة، في حياديته الشّديدة في كل شيء، فهو لا يَنشَغِل بالأحداث السياسية ولا يهمه أمر البلاد في شيء، فلا انتماء له سوى المال والمال وحده!

لا يَشغله ما يواجهه الناس من مشكلات اقتصادية أو اجتماعية ما دام هو بخير ويَستطيع أن يَفعل ما يُريد أن يفعله، كل ما يَحتاجه هو أن يبدو للناس كالحَريص على مصالحهم والساعِي إلى حَل مشاكلهم.

في داخله كان مُلحِدًا يرى أنه إله نفسه ولا يُمكنه أن يُقَيد عَقله بمُعتقدات أو أديان أو ما يُعوق حُريَته وحياديَته اللتين أوصَلتاه إلى كل هذا النجاح.

ولأنه ذكي كان يَعلم أن انتشار أمر إلحاده أو عَدم اعتناقه أية أديان سَيَقِفُ عائقًا أمام نجاحه وحُب الناس له، ففي بلد مثل مصر حتى وإن لم تكُن مُتدينًا فأنت مُتعصب للدين الذي تنتمي إليه، لذلك لم يعرف أحد من المُحيطين به أو من العاملينَ معه بأمر إلحاده، لا خَوفًا من أحد فهو لا يَخشى أحدًا، ولكن حِفاظًا على نجاحه واسمه.

توقف "وليد مندور" بسيارته الفارهة أمام مبنى القناة الجديدة، ثم تَرَجَّل منها وسار بشموخه المُعتاد نحو باب البِناية، دَلَفَ من باب المصعَد وضَغَطَ زِر الصعود للطابق الثاني، عَدَل من ربطة عُنقِه الفاخِرة ومَرِّر أصابعه برِفقٍ على خُصلات شَعره الأسود الناعِم أمام مرآة المِصعَد الذي تَوَقَف وانفتَح بابه، فخَرَجَ منه مَزهوًّا بنفسه تملؤه الثقة.

استقبلته السكرتارية بحفاوة شديدة كان الأستاذ "ضِياء فَهمي" صاحِب القناة قد أوصى بها مُسبقًا، ثم دَلَفَ إلى مَكتب هذا الأخير وصافَحه، ثم جَلَس على المقعَد المُقابِل له وأخرَج علبة سَجائره المارلبورو البيضاء وأشعَل منها لفافة سَحَب منها نَفَسًا طويلًا ونفثه ببطء وكأنه يحث الأستاذ "ضياء" على بدء الحديث، فقال هذا الأخير وعلى وَجهه ابتسامة سعيدة لوجود تِلك القامة الإعلامية الكبيرة في مكتبه:

– أهلًا بك يا أستاذ وليد... ماذا تَوَدُ أن تَشرَب؟

تنحنح "وليد" وبلهجة عَمَلية شَديدة قال:

- أشكُرُك، ولكن لا وَقتَ لديّ.. من الأفضل أن نَدخُل إلى صُلب الموضوع.

حاول الأستاذ "ضياء" إخفاء ارتباكه خَلف ابتسامة بَسيطة طَفَت على شَفَتَيه وقال:

- وأنا في انتظار ما تَقوله يا أستاذ وليد... أخبرني ما فِكرة برنامجك الجديد؟

جَلجَلَت ضَحِكات "وليد مندور" في أرجاء الغُرفة، وقال بعدما توقف عن السُّعال:

- أنت لم تتعامل معي من قبل يا سَيد ضِياء، ولكن ألَم تَسمَع عني؟

- لا أفهم ما ترمي إليه.

نَفَض "وليد مندور" غبار سيجارته في مِنفضة السجائر، وقال بلهجة ثابِتة واثقة:

- الإعلامي الذي يقدم البرامج ليس هو سر نجاحها.. أقصد ليس تقديمه هو بالذات لها.. النجاح الحقيقي يكمن في فكرة البرنامج من الأساس.

قالها بنوع من الهيام، ثم عاد مواصلة حديثة، وقال بجدية:

- وأنا لا أكشف عن أفكاري لأحدٍ قبل أن أرى إن كان عَرضه يَستحِق ذلك أم لا.

أومأ "ضياء فهمي" برأسه موافِقًا وكأنه كان يتوَقَع ذلك، ثم مَد يده في درج مكتبه وأمسَك مجموعة من الأوراق مَدَ بها يَده إلى "وليد مندور" وقال:

- لقد تحدثنا من قبل في موضوع العقد هذا، ولكن ليكُن ما تقول... إليك عَقدي معك.. اقرأ بنوده جَيدًا ولنرَ إن كان عَرضي يَستحِق أفكارك أم لا.

وَأدَ "وليد مندور" سيجارته التي لم تَنتهي بَعد في مِنفضة السجائر وتناوَل الأوراق من يَد "ضياء فهمي"، وبدأ يقرؤها بتمهُلٍ شَديد بَندًا تلو الآخر وفي النهاية وَضَعَ الأوراق على سَطح المكتَب ونَظرَ إلى هذا الأخير بنظرات ثابتة، ثم قال بلهجته الواثقة:

- عَقدك سَيكون مُناسبًا ليّ إذا ما قُمتُ بمُضاعَفة الرقم المكتوب فيه.

أطبقَت الجُملة على صَدر "ضياء فهمي"، فهو ما كان يتوقَع رَدًّا كهذا، فالرقم المكتوب في العَقد لم يَسبِق له أن وَضَعه في عَقد إعلامي آخر.

تنَحنَح مُحاوِلًا إخفاء ارتباكه، وقال بعدما تغَلَب على صَدمَته:

- ولكن الرقم الذي تطلبه رقم كبير يا سيد وليد.

ابتسم "وليد" بسُخرية وقال بذات اللهجة الواثِقة:

- أعلم ذلك يا سَيد ضياء، ولكن أنتَ تتعامل مع وليد مندور، فإن كان ما أطلبه كثيرًا فما ستَجنيه من أرباح سَيكون أكثر.

أمام صِحة قوله ونَبرته الواثِقة الثابتة أومأ "ضياء فهمي" برأسه موافقًا، وتأكَد أنه أمام نوع مُختَلِف من البَشر، نوع يَعرِف ما يفعله جيدًا.

## (7)

# الجُرعة

– كيف مات زوجك السابق يا حبيبتي؟

سأل "حازم" فبدا الضيق واضحًا على ملامح وجه "شهوة"، فقال محاولًا تدارك خطأه:

– لا أقصد أن أسبب لكِ ضيقًا.. فقط.. فقط..

استجمع شتات أفكاره واستطرد:

– فقط أحب أن أعرف كل تفاصيل حياة من أهيم بها عشقًا.

لم يبد عليها تأثرًا بكلماته، فلم يزل تجهمها عن وجهها، ولكن "حازم" كان يعرف نقطة ضعفها، فقرر استغلالها لصالحه في استعادة ابتسامتها الرائقة، فقال:

– أنتِ شهوتي من الحياة.

ابتسمت بخجل ونظرت إلى ملامحه التي حلت مكانها ملامح وجه معشوقها الأول "ميلاد".

لا يعرف "حازم" سبب هيامها بتلك الجملة، فهي لم تصارحه بقصة حبيبها الذي حرمها الزمن القاسي إياه، كما حرمها م أمَّها في أثناء ولادتها.

نظرت إلى عيني "حازم" تتفحصهما، وقالت:

– مات زوجي بجرعة زائدة من الهيروين.

حاول استدرارها لمعرفة تفاصيل أكثر عن الواقعة، ولكنها لم تكن تعرف أكثر مما أخبرته به، فقط تعرف أن زوجها الراحل "رمزي" تغير كثيرًا بعد فقدانهما جنينهما، ومن ثم اكتشفت سقوطه في فخ الإدمان.

حاولت وقتها مساعدته في الإقلاع عن تعاطي المخدرات، ليس بدافع الحب، ولكن بدافع الواجب وصلة القرابة بينها وبين زوجها الراحل، وليتها ما فعلت!، فكل ما فعلته وقتها هو أن أضافت جرحًا غائرًا جديدًا في روحها.

تذكرت تلك اللحظات القاسية، فأغمضت عينيها محاولة استدعاء صورة حبيبها "ميلاد"، ولكن لسوء حظها أن طاردها شبح "ميلاد" آخر.. "ميلاد" لم تعرفه ولا تود أن تعرفه!

***

طوال عمره كان يَرى لأي مُصيبة سَبَبًا من اثنين، إما المال أو النساء، وَحدها مُصيبته اجتمع فيها المال والنساء ليَتفقا معًا على تدميره وإحالة حياته جَحيمًا لا فِكاك منه!

"رمزي راضي" زوج "شهوة" وابن عَمها، الشاب الذكي الذي أخذَ عن والده قُدرته الهائلة في جَمع المال وتَعلم أسُس العَمل في مَجال المُقاولات من والده، حتى استطاع أن يعمل لحسابه الخاص.

وبذكائه وحنكته تَفوَّق التلميذ على مُعَلمه، فَجَمعَ مِن المال ما جَعَله يَعتقِد أنه لو انتوى التوقُف عَن العَمل فلَن يَتمَكّن من إنفاق نِصف ما مَعه من المال، فما امتلكه يَكفي لأحفاد أحفاد أحفاده.

فيما يَختص بعَمله كان صارِمًا يتشاجر ويُفاصِل في السّحتوت ولا يَقبل أن يترُك قِرشًا واحِدًا يُفلِت من قَبضته ما أمكنه ذلك.

وَحدها "شهوة" ابنة عمه "فايز" هي من استطاعَت أن تَقهَر صَرامته وقوة شَخصيته بجمالها وسِحر عَينيها وتضاريسها التي ما امتلكَت امرأةٌ في الكون مثلها.

ولأنه لم يَعتَد أن يخسَر شيئًا، ما كان مُمكنًا له أن يَترُك "شهوة" لغيره، حَتى بعد أن رَفَضَت طلبه في الزواج بها، هو الذي لم يَخطِر بباله قط أن تَرفُضه امرأةٌ ما مهما تكن.

ظلَ يُحاول أن يَتوَدّد إليها ويُهادن عَمه ويتقَرب إليه ويُغدِق العَطاء إلى "عفاف" خالته وزَوجة عمه، ومع مُحاولاته المُستَمِرة في كل صَوب تمكن أخيرًا من الفوز بها.

في بداية زواجهما وأمام جمالها الصارخ وأنوثتها الطاغية لم يَستطِع أن يُفَوِت يَومًا من دون مُضاجعتها، وعندما لم يَكتفِ بذلك بدأ يُطيل أوقاته الحَميمية معها بالقليل من الأفيون الذي يَضعه تحت لسانه ويُطارحها الفراش حتى تَخور قواه وقواها.

كان يُحيره كثيرًا كيف أنه لم يَكتفِ منها حتى بَعدما مَرَ على زواجهِما وقت طَويل، بَل كان يَعمَل طوال النهار مُنتظرًا قدوم الليل ليُطارحها الفراش من جديد.. أزمته الكُبرى كانت في عدم قُدرته على انتظار مرور ايام حيضها.

وذات يوم دعاه أحد أصدقائه إلى قضاء سهرة حمراء بصحبة بعض العاهرات متوقعًا رفضه كعادته، وكان الوقت متزامنًا مع الدورة الشهرية لزوجته، ففوجئ بنفسه يلبي دعوة صديقه، ومن ثم اعتاد الأمر، فبدأ يَترَدَّد إلى بَعض فَتيات الليل ويُضاجعهن، ولكن الغريب في الأمر أن واحدة من كل من ضاجعهن من عاهرات لم تثره كما كانت تثيره مضاجعة زوجته، فكان يُحاوِل أن يُغَير من ملامحهُنَ في عَينيه إلى ملامح زوجته!

كان الأمر جنونًا كاملًا، هو نفسه أدهَشه أن يَترَدَّد إلى بيوت الدعارة ليُضاجع زوجته! وحينما أخبرته "شهوة" عن بِذرته التي بدأت تَنبت في أحشائها قَرَرَ التوقُف عن زيارة عاهِراته والابتعاد عن تلك الطُرُق المعوجة التي بدأ يسلكها، فوَلي عَهده القادِم هو الأجدَر بالحصول على ما يُنفقه هو من مال في مَلَذاته غير المُبررة، ولكن تأتِ الرياح دائِمًا بما لا تشتهي السُفن!

فَقَدَت "شهوة" جَنينها وعادَت ريما إلى عادتها القَديمة، ولأن النساء ضِلع المُصيبة الثاني تَسلَلَت إحدى العاهِرات إلى أنفه برائِحة الموت التي احتَلَت جَسده وفَرَضَت سَطوتها عليه فبات يُدمنها.

"رمزي راضي" الرجُل الذي كان يَكنِز من المال بقدر ما يُمكنه باتَ يُنفِق آلاف الجُنيهات على ذلك المَسحوق السِحري الذي تَرَبَّع على عَرش جَسده وحَكَمه بالموت.

مع مرور الوقت زادَت سَطوة المُخَدِر على جَسده فظهر ذلك على هَيئته، أهمل مَظهره وبَيته وعَمله وما عادَ يَعنيه في الكون سِوى الحصول على جُرعته التالية ليتجنب أعراض انسحاب المُخَدِر الرهيبة من جسده، بات عَصَبيًّا نافِد الصَبر سَريع الاشتعال والغضب.

"شهوة" المِسكينة حَاولت مِرارًا أن تُعالجه من إدمانه الفَتاك من دون أن تُخبر والِدها أو عَمها بالأمر، حَتى لا تُشَوِّه صورَة زوجها أمامهما، ولكن فَشلَت كل مُحاولاتها أمام قَسوته عليها وتعرُضها للضرب على يديه أكثر من مرة بسبب ذلك.

ولكنها أبدًا لم تَيأس من المُحاولة حتى وَصَلَ بها الأمر إلى أن أخَذَت جُرعَته ورَفَضَت إعطائه إياها.

سَبَّها وضَربها بكل ما تركه له المُخَدِر من عافية حتى أدماها فَسَقَطَت على الأرض لا تَقوى على الحراك.

انتَشَلَ جُرعته من بين يديها بقوة وتركها وَحدها في البيت مُلقاة على الأرض كخرقة بالية.

وقتها لم تجد "شهوة" من تطلب منه المساعدة سوى "ميلاد" زميل الكلية الذي يذكرها بحبيبها ونبله، فاتصلت به وطلبت منه الحضور إلى منزلها لمداواة جروحها التي خلفتها ضربات زوجها لها.

وَقَفَ "ميلاد" الشاب الريفي الطّيب يَنظُر إلى الأدوية التي امتلأت بها أرفف الصِّيدلية بحيرة شديدة لا يَدري ما يجب عليه فعله، انفَطَرَ قَلبه لدى سماعه صوت "شهوة" الباكي المَذعور فتضارَبَت أحاسيسه واختَلَت قُدرَة عَقله على التَفكير السّليم.

يا لهذه الحياة القاسية! لماذا لا تُترك تلك الفتاة البَريئة التّعسة وشأنها؟! أما يَكفي ما عانته مِن فقدانها لجنينها قَبل أن يَرى النور؟! كَيفَ لزوجِها أن يَضربها وهي بتلك البراءة والطُهر؟! أما كانت تَستَحِقُ رَجُلًا أفضل منه يَصونها وتَصونه؟!

لثوانٍ تَخيل ما كان ليُعامِلها به لو كانت زوجته، ولَكنه أبعَد تلك الأفكار عن رأسه بسُرعة، فهو قد نَذَر على جَسده البَتولية ووَهَبَ قَلبه للمَصلوب.

وَضَع بَعض الإسعافات الأولية في كيس بلاستيكي صَغير وأغلَق أبواب الصيدلية بسُرعة، حتى مِن دونَ أن يُخبِر صاحِبها في الهاتف — وهذه

ليسَت عادته – واستَقَل إحدى سيارات الأُجرة إلى العنوان الذي أملَته له في الهاتف.

وَقَفَ أمام باب شَقتها مُمسِكًا بالكيس البلاستيكي الصغير، يُقدِّم قَدَمًا ويؤَخِر أخرى.

تَرتجف أنامله وهي تَمتَد إلى جَرس الباب، دَقه وأطرَقَ برأسه للأرض يَتَحَصن بها ضِد سِهام نظرات "شهوة" التي بَقيَت فَترة لا بأس بها قَبل أن تفتح له الباب، حتى ظَن أنها ليسَت بالداخِل أو أن شَيئًا ما قَد حَدَث.

انفتَحَ الباب، فَرَفَعَ بَصره إليها لتَصطَدِم عَيناه بملامِح وَجهها الملِيء بالكَدَمات والجروح.

يا له من تَعِس! المرة الأولى التي يَنظُر فيها إلى وجهها مَليًّا ويَتَفرَس في ملامحها يَرى وَجهها مُتَوَرِّمًا بتلكَ الصورة!

وَقَفَ أمامها لا يَدري ما يَنبَغي عَليه فِعله، أيَدخُل إليها وهي وَحيدة في المنزِل أم يَنصَرِف عَنها بعدما يُعطيها مُحتويات كيسه البلاستيكي؟!

يَبدو أنها كانَت تُفكِرُ في الأمر مثله تمامًا، وَقَفَت قَليلًا لا تَدري أتَسمَح له بالدخول وهو ما يُخالِف العادات والتقاليد، أم تتركه ليَرحَل وهي التي طَلَبَت مُساعدته!

بعد ثوانٍ من التفكير غَير المُجدي تَنحَت عَن الباب واتجهَت إلى الداخِل من دون أن تنطق بكلمة، فدَخلَ خَلفها ولم يُغلق الباب تحَسُبًا للظروف وحتى لا يَسمَح لإبليس بالولوج إلى عَقله والتشويش عليه.

جلسَت "شهوة" على أريكة صغيرة، بينما جَلَسَ هو قبالتها على مقعَد جلدي وراحَ يُطَيب جروحها بأصابِع خَبيرة مُحاولًا أن يَتَجَنب النظر إلى عَينَيها، ولكن رُغمًا عَنه اصطَدَمَت عَيناه بعينيها فرأى فيهما الدموع المُتحَجِرة التي تأبى السقوط، ارتجف قلبه بين ضلوعه ورَقَت لها مَشاعِره.

– ستكونين بخير.. لماذا تَبكينَ الآن؟

وكأن لكلماته مَفعول السحر، أجابته بسيلٍ من الدموع المهمر من مُقلتَيها وأجهشت بالبُكاء، فما كان منه إلا أن رَبتَ – تلقائيًا – على كتفها، فشَعَرَ بأنامله وكأنها صُعِقَت بماسٍ كهربائي هو جَسدِها الفائِر.

لامَ نفسه في داخله على شَطَحات فِكره الخارِجة عن إرادته ورغبته، وبدأ يُردِد في نفسه واحدًا من مزامير النبي "داوود":

– ارحَمني يا الله كعظيم رَحمَتك، ومِثل كَثرَة رأفَتك تَمحو إثمي، تَغسِلني كثيرًا مِن إثمي ومن خَطيَتي تُطهِرُني، لأني عالِمٌ بإثمي وخَطيَتي أمامي في كل حين...

فجأةً وبلا أية مُقَدِّمات وَجَدَها في حضنه.. "شهوة" البَريئة الرقيقة الدافئة كالحلم، فتَبَدد من فِكره مزمور "داوود" النَبي الذي كان يُرَدده، وكأنه ما حَفِظَه ولا سَمِعَه من قبل!

ضَمَها إليه بشدة فَلَم تَتوَقَف عَن البُكاء، راحَ يُربِت على ظَهرها مُحاوِلًا تهدئتها.. يَرتَفِع صَوتُ بُكائِها فَيَضُمُّها إليه أكثر.. استكانَت بينَ ذراعَيه وشعَرت بدفء لَمساته الحانية لها، والتي تَختَلِفُ كَثيرًا عَن لَمَسات زَوجها النَّهِمة إلى التهامها بقَسوة اعتادها من لقاءاته غَير المَشروعة.

كانت لمساته الحانية قريبة من لمسات حبيبها "ميلاد"، أو ربما كل من يحملون اسم "ميلاد" لمساقم واحدة!

التفاحة التي مَدَت بها حَواء يَدها إلى آدم ليتذوّقَها فأخرجَته مِن الجنة، تَجَسَدَت في تلك اللحَظات على شَفَتي حَواء الثانية وأغرَت آدم الثاني ليتذوقها، فالتَقَم "ميلاد" شَفَتي "شهوة" بين شَفَتَيه وراحَ يَتَذَوّقهُما بِنَهَمٍ شَديد لَم يَكُن يَعلَم هو ذاته أنه بمثله!

وكالحَية التي امتَدَت سَطوَة حيَلتها إلى عَقل حَواء الأولى، امتَدَت يَد "ميلاد" كالحَية تَفرِض سَطوتها على جَسَد "شهوة" التي ما عادَت تَملكه بل أصبَح مِلكًا لميلاد الذي ما عاد يَملك السيطَرة على جَسده الغارِق حتى الثمالة في بئِر الشهوة.

السقوط إلى هوة الخطيئة لا يحتاج إلى وقت طويل، يكفي التقدم خطوة واحدة نحو السقوط، فلا تشعر إلا وقد ارتطم رأسك بقاع الهاوية، و"ميلاد" الثاني ومن دون أن يشعر سمح لشهوته الدفينة بأن تطفو على سطح عقله وتسحبه معها و"شهوة" إلى قاع الهاوية.

تنهمر قبلاته الجائعة على خديها وشفتيها المُسكرتين تطلب شبعًا وارتواء غير جائزين، قبلاته النهمة، وذراعاه اللتان أحاطتا خصرها دغدغتا إحساسها وهيجتا مشاعرها، فأغمضت عينيها وارتخت أعصابها تمامًا.

ضمها إليه بقوة، فلفحتها أنفاسه المتلهفة إلى نَيْلها، يزداد ضغطه على خصرها، فتئن انتشاءً ورغبة في الاستمرار إلى ما هو أبعد من ذلك.

ثياب ممزقة تتطاير ويدان محمومتان تعبثان بحقول نهديها.. يعلو أنينها فيزداد شبقًا، ولا يدري بنفسه إلا وقد غزا مملكتها بشيئه النهم.

أحست بالنشوة فراح أنينها يعلو حتى تحول صراخًا محمومًا، وفي عقلها كان "ميلاد" الأول يضاجعها بجسد "ميلاد" الثاني، وما إن قذف الأخير شهوته في داخلها حتى رحل عنها طيف الأول، لتكتشف حجم الجُرم الذي ارتكبته بتدنيس أرضها مع من لا حق له في امتلاكها.

***

# (8)
# اختلاف

مُحاطًا بالكاميرات الضخمة والأضواء الساطِعة، جَلَسَ الإعلامي "وليد مندور" في الاستوديو يُعيد مُراجعة أسئلة الحلقة، بينما فتاتان شابتان جميلتا الملامح تعبثان في وجهه ببعض الأدوات والمساحيق التجميلية، حتى تُظهراه في أبهى صوره كما هو مُعتاد.

انصرفت الفتاتان بعدما انتهتا من عملهما، فدخل مُعِد البرنامج بصُحبة ضَيفي الحلقة، صافحهُما "وليد مندور" وأجلسهُما المُعِد في مكانيهما المخُصصين لهُما، بينما قام المُصَور بضبط زوايا الكاميرات بالشكل الذي يُريده، وبعدما أصبح الجميع مُستعدين للبداية، أشار المُخرج ببدء التصوير

بملامح وجهه التمثيلية الوسيمة ولباقته في الحديث، قال "وليد مندور" وهو ينظُر إلى الكاميرا:

– أعزائي المُشاهدين في كُل مكان، أهلًا بكُم في أُولى حلقات برنامجنا الجديد "اختلاف".. في حلقتنا الأولى نتحدث معًا في الموضوع الأكثر حساسيةً لدينا جميعًا وهو الاختلاف بين الأديان.

أدار وجهه إلى زاوية أُخرى من زوايا الكاميرا وقال:

- اختلاف الأديان كاختلاف الآراء لا يُفسِد للودِّ قضية، ولسوف نُميط اللثام عن اختلاف المُعتقدات الدينية في مُناظرة ودية مُتحضرة بين ضَيفَي الكريمين.

استطرد وهو يشير إلى ضيفه الأول معرفًا إياه للمشاهدين:

- القُمُص كيرلس وهبة أستاذ علمَي الدفاع اللاهوتي واللاهوت المُقارن بالكُلية الإكليريكية... أهلًا بك سيدي.

اتجهت الكاميرا لتُصور وجه القُمُص كيرلس الذي أومأ برأسه مُرحبًا فاستطرد "وليد مندور" وقال:

- أما ضَيفي الثاني فهو فضيلة الشيخ محمد حاتم أستاذ عِلمَي الفِرق والأديان والمذاهب بكُلية أصول الدين.. أهلًا بك فضيلة الشيخ.

أومأ الشيخ "محمد حاتم" مُرحبًا كما فعل سابقه فتابع "وليد" قائلًا:

- في البداية أُحِبُ أن أُوضِح أن برنامجنا يهدف إلى توضيح مُعتقدات الغير ولا يهدف إلى مُهاجمتها أو تَشويه صورها، فاسم برنامجنا هو "اختلاف" لا "خلاف".

أغلب العاملين ضِمن فريق عمل البرنامج صعقتهم جرأة "وليد مندور" في الحديث وفي اختياره هذا الموضوع الشائك لتقديمه في مُناظرة بهذا الشكل الجريء، الذي لم يعتد مقدمو البرامج تقديمه كما هو، مناظرة صريحة بين ضيفين يدافع كل منهما عن معتقداته.

وجه "وليد مندور" كلامه إلى الشيخ "محمد حاتم" وقال:

- فضيلة الشيخ محمد، كيف ترى الديانة المسيحية من وجهة نظر الدين الإسلامي؟

تنحنح الشيخ "محمد حاتم" وقال:

- بسم الله الرحمن الرحيم.. الحمدُ لله رب العالمين والصلاة والسلامُ على سيد الأولينَ والآخرين وعلى آله وصَحبه ومن تَبعَهُ بإحسانٍ إلى يوم الدين، وارضَ اللهُم معنا معهم أجمعين اللهُمَ آمين، أما بعد فالديانة المسيحية من وجهة نظر الدين الإسلامي هي رسالة سماوية بعثَ الله بها رسوله عيسى عليه السلام تمهيدًا للدين الإسلامي ومُبشِرًا بنزول القُرآن على نبي الله مُحمد عليه أفضل الصلاةِ وأشرف السلام.

نظر "وليد مندور" للقُمُص "كيرلس وهبة" وسأله ذات السؤال الذي وجهه للشيخ "محمد حاتم" قائلًا:

- جناب القُمُص كيرلس، كيف ترى الديانة الإسلامية من وجهة نظر الديانة المسيحية؟

أجابه القُمُص "كيرلس" وقال:

- بسم الآب والابن والروح القُدُس، إله واحد آمين.. الديانة المسيحية قائمة بالأساس على كفارة السيد المسيح لخطية آدم الأولى، فنزول السيد المسيح إلى الأرض وصلبه وموته وقيامته من الأموات في اليوم الثالث لا داعي لوجود أنبياء ولا رُسُل، لذلك لا تعترف الديانة المسيحية بنبوءة رسول الإسلام ولا ترى ضرورة لنزول القُرآن بعدما تم فِعل الفداء.

مع آخر كلمات القُمُص "كيرلس وهبة" ظهر شبح ابتسامة خبيثة على شَفَتي "وليد مندور"، فها هو يلتقط طرف الخيط الذي ينتظره لإشعال المُناقشة، وبسُرعة البرق انتقل إلى الشيخ "محمد حاتم" يسأله:

– القُمُص كيرلس يقول إن الديانة المسيحية ترى أن لا ضرورة لوجود الديانة الإسلامية.. كيف ترى ذلك شيخ محمد؟

تنحنح الشيخ "محمد حاتم" وقلب بعض الأوراق أمامه ثم قال:

– الديانة المسيحية ترى أن لا ضرورة لوجود الديانة الإسلامية لسبب واحد وهو اعتقادهم في ألوهية المسيح عيسى ابن مريم إفتراءً.. أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ* مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1]، صدَقَ الله العظيم، وهو ما يَنُص على أن المسيحُ عيسى عليه السلام ذاته يُخلي مسئوليته أمام الله من اعتقاداهم الكاذبة في ألوهيته وذلك ما يتبين في قول الله تعالى: ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ

[1] سورة المائدة 116-117

الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾[1]، صدق الله العظيم.

نظر "وليد مندور" إلى القُمُص "كيرلس" وكأنه يستحثه على الرد، فما كان من هذا الأخير إلا أن قال:

– ما ذكره الشيخ محمد حاتم من نصوص قُرآنية تنفي ألوهية المسيح وتؤكد اعتقادات الديانة الإسلامية في أن المسيح ليس سوى رسول من الله، فكما أخبرتك في البداية أستاذ وليد أن الديانة المسيحية لا تعترفُ بنصوص القُرآن ولا تعترف بأي نبوءة بعد مجيء السيد المسيح وصلبه وموته وقيامته، فألوهية السيد المسيح تنفي جدوى أية نبوءةٍ أخرى، ببساطة شديدة لأن لا داعي لها.

هُنا قال الشيخ "محمد حاتم" بشيء من الانفعال:

– الخلاف حول ألوهية السيد المسيح ليس فقط بين المسيحية والإسلام، فالخلاف كان موجودًا حتى قبل نزول القُرآن، فقديمًا انعقدت المجامع المسكونية لمُناقشة مسألة ألوهية المسيح بين الطوائف المسيحية ذاتها.. أليس كذلك يا جناب القُمُص؟!

أجابه القُمُص "كيرلس" قائلًا:

---

[1] سورة النساء 172

- انعقدت المجامع المسكونية للرد على البدع التي ابتدعها بعض المُنشقين عن المسيحية والمُهرطقين مثل آريوس، ولكن في النهاية نَص قانون الإيمان المسيحي على ألوهية المسيح.

هنا وجه "وليد مندور" كلامه للشيخ "محمد حاتم" وقال:

- فضيلة الشيخ محمد لقد ذكرت في حديثك الخلافات بين الطوائف المسيحية حول مسألة ألوهية السيد المسيح.. نرجو منك الإيضاح.

قال الشيخ "محمد":

- اشتد الخلاف بين الطوائف المسيحية الأولى وكان خلافهم يدور حول شخص المسيح، أهو رسول من عند الله فقط أم أن له بالله صلة أكبر من رسول، فهو من الله بمنزلة الابن لأنه خُلِق من غير أب، ولكن ذلك لا يمنع أنه مخلوق لله، لأنه هو كلمة من الله، ومن قائل إنه ابن الله له صفة القِدم كما لله تلك الصفة، وهكذا تباينت نحلهم واختلفت، وكُلٌ يزعم أن نحلته هي المسيحية الصحيحة التي جاء بها المسيح عليه السلام، ودعا إليها تلاميذه من بعده، ويظهر أن ذلك الاختلاف وتلك النحل المُتباينة المُتضاربة المُتنازعة قد ظهرت بعد أن دخلت طوائف مختلفة من الوثنيين من الرومان واليونان والمصريين، فتكون في المسيحية مزيج غير مُتجانس، غير تام التكوين غير تام الاتحاد والامتزاج، وكُلٌ قد بقي عنده من عقائده الأولى ما أثر في تفكيره في دينه الجديد، وجعله يسير على مُقتضى ما اعتنق من القديم من غير أن يشعُر أو يُريد، وممن دخل في ذلك فلاسفة لهم آراء فلسفية أرادوا أن يفهموا ما اعتنقوه جديدًا على ضوئها،

وعلى مُقتضى منطقها وتفكيرها، ولقد كانت تلك الاختلافات كامنة لا تظهر طوال مدة الاضطهادات الرومانية لأنهم شُغلوا بدفع الأذى ورد البلاء واستقبال المِحن والكوارث، وكانوا لا يُظهرون دينهم ويخفون عقائدهم ولا يُعلنونها، حتى إذا رُزِقوا الأمان ونزلَت عليهم سحائب الاطمئنان، ظهرت الخِلافات الكامنة، وإذا هُم لم يكونوا مُتفقين إلا في التعلّق باسم المسيح والاستمساك بالانتساب إليه، من غير أن يتفِقوا على شيء في حقيقته.

ظهر عدم الرِضا على وجه القُمُص "كيرلس" وحاول مُقاطعته في الحديث، ولكن "وليد مندور" بخبرته العميقة في إدارة الحوار أشار له أن ينتظِر، فصَمت بينما استطرد الشيخ "محمد" حديثه:

- لذا لما منحهم الإمبراطور قُسطنطين عطفه واعتزم الدخول في النصرانية، ووجدَ هذا الاختلاف الشديد أمر بعقد مجمع نيقية، وكانَ لانعقاد المجمع سبب آخر يتعلق بنوع من هذه الاختلافات وهو ما يُسمونه في تاريخهم ببدعة آريوس.

انتهى الشيخ "محمد حاتم" من حديثه، فقال "وليد مندور" موجهًا كلامه للقُمُص "كيرلس":

- جناب القُمُص لقد حاولتَ مُقاطعة الشيخ محمد في أثناء حديثه، فماذا كُنت تقول؟

أجاب القُمُص "كيرلس":

- الكتاب المُقدس يُقِرُّ بألوهية السيد المسيح ومجيئه إلى العالم لخلاص البشرية، ولا خِلاف بين الطوائف المسيحية في ذلك، أما السبب الحقيقي في انعقاد مجمع نيقية هو الرد على بدعة آريوس، وهو تعليم غريب عن الإيمان، نادى به آريوس وبدأ يبثه في كُل مكان بما عُرف عنه من قوة في الدعاية وسحرٌ في الحديث وجاذبية في البحث والشرح، وسرعان ما كَون لنفسه حِزبًا من مُعتنقي تعاليمه الفاسِدة قوامه كثيرٌ من الرجال ذَوي المكانة السامية دينيًّا ومدنيًّا، ليسَ من بلدته فقط، بل من أنحاء الإمبراطورية الرومانية كافة.

انتهى القُمُص "كيرلس" من حديثه، فقال "وليد مندور":

- جناب القُمُص حدثنا أكثر عن مجمع نيقية وعن آريوس.

- وُلِدَ آريوس في ليبيا عام **270**م، درسَ الكثير من العلوم والمعارف، ثُمَ نزحَ إلى الإسكندرية حيثُ التحقَ بمدرستها اللاهوتية، فأظهرَ في دراسته بها نبوغًا كبيرًا، وعندئذ بدأ يتكبر، كما بدأ يسعى لنيل الدرجات الكهنوتية، ظانًّا أن في نبوغه وفصاحته ما يُبرر ذلك، حاول الانضمام إلى ملاتيوس أُسقُف ليكربوليس[1] مُحرِضًا إياه على الإمعان في العصيان وشَق عصا الطاعة على رئيسه القديس بُطرُس خاتم الشُهداء، ولكنه بعدئذ أدرك أن مثل هذا العمل لن يوصلهُ إلى شهوته وبغية نفسه في الارتقاء إلى الدرجات الدينية الرفيعة، وهُنا تركَ ملاتيوس وتصالح مع البابا بُطرُس

---

[1] أسيوط.

مُظهِرًا خضوعه، فسامه شماسًا[1] سنة 306م، ثم قسيسًا، بدأ آريوس تعاليمه في عهد البابا بُطرُس خاتم الشُهداء، وتنحصر تعاليمه في إنكار لاهوت السيد المسيح وأنه مخلوق وغير مُساو للآب في الجوهر، ومما قاله: "كان الآب إذ لم يكُن الابن، ثُمَ أحدَث الابن فصارَ كلمة له، فهو مُحدث مخلوق، فوَض إليه الآب كل شيء، فخلق الابن المُسمى بالكلمة كل شيء من السموات والأرض وما فيهُما، فصارَ هو الخالِق بما أعطاهُ الآب، ثُم أن تلك الكلمة تجسدت من مريم والروح القُدُس، فصارَ ذلك مسيحًا، فإذًا المسيحُ مَعنيين، كلمة وجسد وهُما جميعًا مخلوقان"، فانعقد المجمع المسكوني الأول في نيقية في شهر مايو سنة 325م، وبدأ المجمع في مُزاولة أعماله بالنظر في بدعة آريوس، وقدمَ آريوس المُبتدِع صورة اعتقاده التي قال فيها: "إن الابن ليسَ مُساويًا للأب في الأزلية، وليسَ من جوهره وأن الأب كان في الأصل وحيدًا، فأخرج الابن من العَدم بإرادته، وأن الابن إله لحصوله على لاهوت مُكتَسب"، وما إن سمع الأساقفة هذه الأقوال حتى هيجوا لما حَوَتهُ من بدع وأضاليل، وإذ أخذَ آريوس يُدافِع عن مُعتقده، انبرى رئيسُ الشمامسة القديس أثناسيوس الرسولي وأفحمه بردوده القوية وحججه الدامغة حتى أظهر ضلاله وأبان فساد رأيه، وعندما بدأ الآباء في تحديد العقيدة السليمة كان الآريوسيون يوافقونَ على ظاهِر أقوالهم ثُم يؤولونها بما يكون لصالح عقيدتهم الفاسِدة، وأخيرًا تدخل أثناسيوس واقترح أن تُضاف إلى العقيدة عبارة "Homo-Ousion" أي

---

[1] أقل الدرجات الكهنوتية.

"مُساوٍ في الجوهر" للتعبير عن حقيقة صِلة الأب بالابن، غير أن الآريوسيين رفضوها وأرادوا استبدالها بعبارة مُشابهة "Homi-Ousion" ومعناها "مُشابه في الجوهر"، ورغم أن العبارة الأخيرة لا تختلف عن الأولى إلا في حرفٍ واحد، إلا أنها تختلف عنها معنويًا اختلافًا كبيرًا، وبعد اختلاف كبير أُخذَ رأي المجمع فوافق على عبارة القديس أثناسيوس، وتوالت جلسات المجمع إلى أن تم وضع قانون الإيمان المسيحي كالآتي: "بالحقيقةِ نؤمِن بإلهٍ واحد، الله الآب ضابط الكُل، خالِق السماء والارض، ما يُرى وما لا يُرى، نؤمِن بربٍ واحِد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مُساو للآب في الجوهر، الذي به كانَ كل شيء، هذا الذي من أجلِنا نحنُ البشر ومن أجلِ خلاصنا، نزلَ من السماء وتجسد من الروح القُدُس، ومن مريم العذراء تأنس، وصُلِبَ عنا على عهد بيلاطِس البُنطي، تألم وقُبِرَ وقام من الأموات في اليوم الثالث كما في الكُتُب، وصعدَ إلى السموات، وجلسَ عن يمين أبيه، وأيضًا يأتي في مجده ليُدينَ الأحياءِ والأموات، الذي ليسَ لمُلكهِ انقضاء، نؤمن بالروح القُدُس".

***

# (9)
# تغييرات

تَغَيَّر حال "شهوة" كثيرًا بعد حواراتها ولقاءاتها المُتكررة مع الطبيب "حازم راشد".

باتت تتعلق به وتنتظِر مُكالماته لها على أحر من الجَمر، من دون أن تعرِف سببًا لذلك، كيف اقتحم الحب قلبها بتلك السرعة؟!، ولكن كيف يكون حبًّا وهي ما زالت تتعلق بذكرى حبيبها "ميلاد"، فلو أنها رأته الآن لتركت الدنيا بما ومن فيها وذهبت معه إلى حيث يذهب، ولتزأر العاصفة كما تريد!

رُبما وحدتها واحتياجِها إلى وجود رجُل إلى جِوارِها بعدما تخلى عنها زوجها بإدمانه الذي أدى إلى موته، وخَذَلها "ميلاد" زميلها باستباحته جسدها، هما ما أفسحا مجالًا لاقتحام "حازم" قلبها بكلماته الرقيقة الناعمة وإطرائه الدائم لجمالها وروحها العذبة.

ما ضايق "شهوة" في علاقتها بحازم أنه بدأ في الآونة الاخيرة زادت حواراته معها حول الاختلافات بين الإسلام والمسيحية.

لم تَكُن يَومًا مُتعَمِقةً في صُلب الديانة المسيحية، ولكنها كأي إنسان آخر كانت ترى أن الدين خط أحمر لا يُمكِن تجاوزه.

حاولت مُجاراة "حازم" في حَديثه ومُجادلته بما تَملكه من معرفة، ولكنه كان يَملك من الحُجة ما جعلها عاجزةً عن مُجاراته، حتى أنها بدأت مع الوقت تنتظر حديثه معها لتعرف اكثر.

لاحظ والدها في المرات القليلة التي زارها فيها التغيُّر الذي بدا على ملامحها وحديثها معه، وعدم ذهابها إلى الكنيسة لفترات طويلة في الفترة الأخيرة، فاعتقد أن ما بها هوَ من أثر الوحدة التي تحياها.

عَرضَ عليها أن تأتي لتحيا معه في منزله، ولكنها رفضت فلم يرغب في مُضايقتها أو إجبارها على ما لا تُريد خاصةً بعد كل ما عانَتهُ من عذابٍ في فقدان زوجِها ومَرضها.

ذاتَ يومٍ في إحدى زياراته لها رأى لديها مجموعة كبيرة من الكُتب الدينية الإسلامية، فبدأ الشّك يُساوِر قلبه، ولكنه بَرر ذلك بمعرفته عنها حُبها الشديد للقراءة، وهو خلط غريب منه بين الاستذكار والقراءة، ولكن بما يعرفه عن ابنته وجد لها مبررًا لما تفعله، وفَكر في نفسه أنه إذا ما أخذها معهُ في رحلة إلى أحد الأماكن المُقدسة، لفَرّج عنها هَم وحدتها، ولطابت نفسها بالسّكينة والهدوء.

أخذها وأخاها غير الشقيق "مينا"، ابنه الأكبر من "عفاف" زوجته الثانية، وذهَبَ بهما إلى دير الأنبا بولا بصحراء البحر الأحمر، عَلّ قُدسيَة المكان تَهبهُما السلام الداخلي.

كما ليُبارِك الرُّهبان والنُّساك في الدير ابنه "مينا" قبل سَفره للعمل في ليبيا، وهو ما كان "فايز" رافِضًا له، ولكنه لم يَرغب أن يقِفَ حاجِزًا أمام رغبة ابنه في ذلك.

أخوها غير الشقيق "مينا" مسافر للعمل في ليبيا، تمنت "شهوة" في داخلها لو أنها تسافر معه، علها تعثر هناك على محبوبها الغائب، الذي أخبرتها خالتها "صفية" أنه سافر إلى هناك للعمل، فالرزق في قرية "العور" أصبح شحيحًا إلى الحد الذي يطرد أبناء القرية منها بحثًا عن لقمة العيش.

ليبيا.. آه يا غربة المحبوب! تتذكر "شهوة" كلمات خالتها "صفية" جيدًا، ولكنها كانت تتمنى لو أنها كانت مخطئة فيما قالته، وأن "ميلاد" ما زال في مصر وسوف يأتي اليوم الذي يجمع الله فيه الشتيتين بعدما يظنان كل الظن ألا تلاقيَا.

***

وقتها انطرحت "شهوة" على فراشها في غرفة نومها وراحَت تَبكي بحُرقة غَير مُصدقة أن ما حَدث قد حَدثَ فعلًا، كيفَ لها وهي الفتاة التي أخذت عن والدها طِباعه وتقاليده الجنوبية أن تَسقُط مِثل هذه السقطة التي لا قيام منها؟!

كيف لها وهي الفتاة التي كانت مثالًا في الالتزام والاحترام والأخلاق الرفيعة أن تترُك جَسدها لرجُلٍ آخر غَير زوجها ليَعبَث به هكذا؟!

استَحضَر عَقلها مَلامِح وَجه "ميلاد" وهو يُضاجِعها والشهوة تَكسو ملامحه، فلم تستطع كان ميلاد الآخر هو من يسيطر على عقلها في أثناء فعلتها الفاضحة.

لعنت ذلك اليوم الذي رأت فيه زميلها "ميلاد" وتساءَلَت في داخلها كيف خَرَجَ مِثل هذا الفِعل من ذلك الشاب الذي كان يَبدو عليه الاحترام والتَديُّن الشديدَين؟!

إنه حتى لم يَجرؤ يومًا على أن يَرفَع عَينَيه في عَينَيها، فكيفَ استباح جَسدها بتلك الصورة؟!

حقًا داخِل كلٍ منا شيطانٌ كامِنٌ يَتحيَّن الفُرصة للخروج ومُمارَسة شروره، فكما قال الكتاب المُقدس: «إبليس عَدوُّكم كأسد زائِر يَجول مُلتَمِسًا مَن يَبتَلِعه»..

كيفَ لها وهي الز... الزانية أن تُفكِر فيما قاله الكتاب المُقدَس؟! كيف لها من الأساس أن تَستَحضِر كلماته الطاهِرة على لِسانها النجِس؟! ولكن سَقطتها ما كانت بسبب إبليس، بَل كانت بسبب ضَعفها و"ميلاد"، كِلاهُما سَقَطَ وأسقَطَ الآخر معه، فالكتاب يَقول إن إبليس كالأسد الزائِر ولكنه يَجول مُلتَمِسًا مَن يَبتلعه، أي إنه يَنتَظِر ويَطلُب مَن يَبتَلِعه، أي إننا نحن مَن نَسمَح له بابتلاعنا، نحن مَن نَسمَح له بإسقاطِنا، نحن السبب وليس هو!

ماذا حل بكِ يا "شهوة" أتراك تبررين لإبليس أفعاله الشيطانية الشريرة ووسوسته التي تهلك الكثيرين؟!

سَمعت صَوت باب الشقة وهو يَنفَتِح، فعَلِمَت أن زَوجها قد عاد بعدما حَقَنَ نَفسه بجُرعَته من سائِل الموت، سَبَّتهُ في داخلها فهو السبب في كل ما حَدث!، فلولا أنه ضربها وتركها محطمة ما كانت لتطلب مساعدة أحد، وما كانت الفرصة لتتاح أمام زميلها "ميلاد" لاغتصابها..

لا لم يكن اغتصابًا، فالأمر قد تم بإرادتها وإرادته ولا داع لخلق تبريرات وهمية لجرمهما.

نَهضَت من فِراشها ووَقَفَت أمام المرآة، جَفَّفَت دموعها وحاولت أن تَتماسَك، ثم خَرَجَت مِن الغُرفة تَنوي اختلاق مُشكلة تَتَوارى بها عَن زوجها لعِدَة أيام.

حينَ لمَحَت والدها أمام باب الشقة مِن الداخِل عادت أدراجها إلى داخل الغُرفة، ووَقَفَت أمام المرآة مِن جَديد تُهَندِم نَفسها وتُحاوِل أن ترسم على وَجهها المُتورم ابتسامةٍ زائِفة، ثم خرجت مرة أُخرى.

حين اصطَدَمَت نظراتها بنظرات والدها عَلمَت أن هُناك شيئًا ما على غَير ما يُرام، فوالدها البَشوش دائِم الابتسام في وَجهها يَقِفُ أمامها مُتَجَهِم الوَجه يُغالِب دموعه كي لا تَسقُط من مُقلتيه.

جَرَت ناحيته وارتَمَت في حضنه وأجهَشَت بالبُكاء، فضمها إليه وسار بأنامله على شَعرها من الخلف وهو يُحاول تهدئتها.

- ربنا يصبرك يا ابنتي.

كلماته لها أدخلت الشك في قلبها، فابتعدت عنه قليلًا وسألته بلهفة:

- ماذا حَدث يا أبي؟

قال وهو يُغالب دموعه:

- زوجك توفاه الله.. البقية في حياتك يا ابنتي.

ظهرت الصدمة على ملامحها، فارتمت في حضنه وواصلت البُكاء، بينما تابع هو حديثه:

- يَقولون في المُستشفى أن سيارةً ما ألقت به أمام باب المُستشفى ورحلت مُسرعةً، وأنه توفي بجُرعة زائِدة من المُخدرات.

صَمَت قليلًا ثم سألها:

- هل كُنتِ تَعلَمين أنه يتعاطى المُخدرات؟

واصَلَت بُكاءها فلم يكُن بمقدورها الرد على سؤاله، كما أنها لم تكُن تعلم بما يجب عليها أن تُجيبه، فقال وهو يُبعدها عن صَدره قليلًا:

- هيا يا ابنتي قومي بتجهيز نفسك للسفر سريعًا، سندفنه في العور إلى جوار أمك رحمها الله.

***

في الوقت الذي كانت "شهوة" فيه مع والدها وعمها في الطريق إلى قرية "العور" لدفن جُثة زوجها، كان "ميلاد" في إحدى السيارات المُتجهة إلى مدينة السويس، حيث اعتزم الذهاب إلى دير الأنبا بولا العامر بالبحر الأحمر للاختلاء بنفسه بعد ما حدث بينه وبين "شهوة".

طوال وقت السفر لم يكُن يُفكر إلا فيما فعله معها وكيف سقط وإياها في الرذيلة وكان سقوطه عظيمًا، حتى أنه لم ينتبه إلى أنه لم يُخبر والديه هاتفيًا بذهابه إلى الدير، كما لم يُعِد مفاتيح الصيدلية إلى صاحبها.

جُل ما كان يَشغل عقله هو أن يختلي بذاته ويُقدم توبة صادقة حقيقية عما اقترفه من ذنبٍ عظيم.

أحد الرُكاب الجالسين إلى جواره في السيارة رَبَت على كتفه وقال:

- إلقِ هَمك على الله يا ولدي.

نظر له "ميلاد" باستغرابٍ شديد، وعلم أن الدموع التي تتساقط من عينيه لفَتَت أنظار الركاب، ولكنه لم يَهتَم وعاد إلى صَمته ومُناجاته الداخلية:

- يا رب لا توبخني بغضبك؛ فإني ضَعيفٌ لا أحتملُ غضبك، أرى نفسي عُريان مفضوح واقف أمام منبر الحُكم وقد انسد فَمي عن الجواب وما لي حيلة إلا أن أقع على قدميك صارخًا أن لا توبخني بغضبك، أنا عالِم بما ينتظرني يا سيدي لو خرجت من أمامك وأنا لم أحظَ برحمتك وعفوك، فالذل والهوان والعار والفضيحة أمام صفوف قديسيك والحُزن والبُكاء وصرير الأسنان في الدود والنار مع الأشرار إلى أبد الآبدين، فأنا الآن أستعطفك يا إلهي، وليس لي جواب أرد به عن واحدة مما صَنَعت، فقد فُقت اللص في إثمه وزدت على الزانية في فُجرها، وإن كنت لم يراني أحد، وظهرتُ للناس كأني بار إلا أنك أنت كاشِف أمري فكل شيء عريان أمامك، أغضَبتُ اسمك القدوس وعَصيت أوامرك وخالفت صوت روحك القدوس في ضميري، وبَدَدتُ كنز الطهارة الذي وهبته لي، وأطفأتُ المِصباح ولم أتمتع بنوره لحظة، فصرتُ أتخبط في ظُلمة جهلي، قد صرتُ ملومًا في كل شيء مُدانًا في كل فعل وليس لي في كل هذا عُذر أو جواب، ولكن وقعتُ بين يديك أطلُب رحمتك ألا توبخني بغضبك، لستُ أجترئ أن أقول لا توبخني البتة؛ لأن ذلك لا يمكن أن يكون ولكن لا توبخني بغضبك، استُر فضيحتي برحمتك واخفِ ذنوبي وعاري عن أعين الملاكة والقديسين لئلا يقشعروا من هَول قباحتي وفضيحتي فيفرون مني وأنا مُحتاجٌ إليهم، لا تغضب قبل أن توبخني لأن من يستطيع أن يحتمل غضبك؟! إذا كان غَضَب الملك الأرضي يظهر أنه لا يُحتمل، فكيف يُحتمل غضب إله السماء والأرض؟! وَبخني يا رب ولكن ليس بغضبك.. وَبخني يا رب ولكن بمحبتك.. أنا مُستحقٌ للعقاب يا رب ولكن لا تُعاقبني بزجرك، لستُ أقول

لا تُعاقبني لئلا أوجَد غبيًّا أمامك لأني مُستحقٌ للتأديب ولكن لا تُعاقبني بزجرك، فإن كان لِصٌّ تاب وأخذ منك المغفرة، وإن كانت زانية تقدمت إليك بالدموع والحسرة فنالت العفو والسماح، فأنا ليست لي إلى الآن لا توبة صادقة ولا دموع ولا ندامة أُقدمها لأنال كما نالوا.. ليس لي صلاة نقية من نفس مُنكسرة.. ليس لي صومٌ صادق من الداخل والخارج.. ليس لي موَدة حقيقية، فأنا مُتقلب ليس مع أعدائي فحسب بل وحتى مع أحبائي.. ليس لي عِفة وطهارة أجد فيهُما دالة لأتقدم بهما إليك، فأنا دنست الجسد مع الفكر كلاهُما.. وَعدتُ كثيرًا أن أتوب ولكني رجعتُ إلى دَنَس خطيتي كما يرجِع الكلب إلى قيئه، فصرتُ حانِثًا وكاذِبًا، خررتُ ساجِدًا وباكيًا في بيتك وعندما خرجتُ رجعتُ إلى رداءة سيرتي بإرادتي، استهنتُ برحمتك واستخففتُ بحلمك وطول آناتك، كم مرة رحمتني فعُدتُ وأغضبتك؟! كم تأنيت عليّ فلم أرجع؟! كم مرة أقمتني فسقطتُ؟! كم أحسنت إليّ فجحدتُ إحساناتك؟! كم مرة استجبت لي وأنا عصيتك؟! كم مرة أخطأتُ إليكَ فغفرت لي مثل أبٍ احتملتني كصالح ومُحب البشر وقبلتني كما يَقبَل الأب ابنه.. وعظتني بكلام الحياة ومددتَ إليّ يدك وناديتني ألّا تخف إذا سقطت فقُم لأني لا أُبعدك عني فلستُ أشاء موت خليقتي ولا أُسر بموت الخُطاة، وليس بمعقولٍ أن أبغض صورتي، هل أردُّ إنسانًا تاب ورجع إليّ، نعم يا رب إذ أنت رحوم وثابت في جوهرك، فأنت هو أمس واليوم وإلى الأبد، فاصنع معي رحمة كعظيم رحمتك الأولى وبطول آناتك لا توبخني بغضبك ولا تؤدبني بسخطك ولا تتعجل في الحُكم عليّ، فقد بقي لي زمانٌ للتوبة، لا تحصدني وأنا في مُنتصف أيامي ولا تُسرع في

قطعي مثل شجرة التين، ولكن سَيج حولي واختبرني سنةً أخرى، اسقني فيها برحمتك لأُخرِج ثمرًا هو صنعَة رحمتك، لا تخطفني وأنا غير مُستعد ولا تأخُذني وأنا مصباحي مُطفأ، تَمهل عليّ قليلًا لأسرج مِصباحي بزيت التوبة، تحنن يا رب وارثَ لفقري وخيبتي وتمهل عليّ لأتوب عن جهلي وعمى قلبي وكسلي وفسقي وزناي، اترُكني قليلًا لأتوب لأن ليس لي وجه أرفعه نحو السماء ولا دالة أشعُر بها أني أهلٌ للوقوف بين يديك، ارحمني يا رب فإني ضعيف النفس والجسد، ضَعُفَ عقلي وفَنيت قوتي وفَرغ زماني وانقضت أيامي في الباطل، أرى وقتي قد دنا فافتح لي باب رحمتك وإن كُنتُ لست أهلًا لرحمتك لأني لم أرحم أنا ذاتي، مد يدك وانتشلني من عُمق جحيم الشهوات المُنغمس فيها، وإن لم تمد يدك فمن ذا عساه بمُستطيع أن يُقيمني؟! أنت مُنذ البدء مُحب البشر فلا تُغلق محبتك عني، أعطني زمانًا قليلًا ودموعًا كثيرة وتوبة وندامة وانسحاق نفس حتى يكون لي سبب لرحمتك ووسيلة لعطيتك، أي مريض يستطيع أن يُداوي نفسه وأي مغلوب يستطيع أن يقوى على القيام وهو مصروع من عدوه؟! ارحمني يا رب فإني مريض بشهوة نفسي ومجروح في معركة عدوي، عظامي قد اضطربت ونفسي قد انزعجت جدًّا، اطلُبني أنت يا سيدي لأنك خرجت تطلُب الخروف الضال، وخلصني لأنك جئت لتطلُب وتُخلص ما قد هَلَك، ليس الصحيح المُعافى هو الذي يزوره الطبيب ولكن المريض المطروح المهزوم من شدة مرضه هو الذي يستغيث مُلتمسًا رحمة ومعونة، فيا طبيب نفسي لا تنظُر إلى شدة جسدي ولكن تطلع إلى حالة نفسي وارثَ لضَعفي وتحنن واشفني.

انتبه من شروده وصلاته الداخلية على صوت سائِق السيارة وهو يطلُب أُجرته بعدما وصلَ أخيرًا إلى وجهته.

نقده "ميلاد" أجره وتَرَجَّل من السيارة، وقف في الشارع فترة طويلة مُنتظرًا سيارة النقل التي تنقل خزان المياه العذبة إلى الدير، رآها آتية من بعيد فأشار بيده للسائق مما جعل هذا الأخير يتوقف بالسيارة إلى جانب الطريق، فركب "ميلاد" إلى جواره وطلب منه أن يُقله معه إلى الدير.

كان السائِق مُعتادًا مثل هذه الأمور، فالكثيرون ممن يزورون الدير يوقفونه ويطلبون الطلب ذاته، وذلك لقِلة المواصلات إلى الدير.

راح "ميلاد" يتأمل الصخور الجبلية التي تفترش جانبي طريق المَدَق المؤدي إلى الدير من دون أن ينطق بكلمة، لا تُفارق صورة "شهوة" عقله بينما يُجاهد هو في طردها بمُناجاته الصامِتة لربه.

وصلت السيارة إلى داخل الدير فترجل منها السائق ليُدلي بحمله، بينما اتجه "ميلاد" إلى مكتب رئيس الدير ووقف لفترة لا بأس بها أمام الباب مُترددًا، وراح يُصلي في داخله:

- يا رب لا تتأخر عليّ كثيرًا؛ لأن وقتي قد دنا وها الحاصِد قد وافى والمنجل في يده مُسرعًا لقطف حياتي وهي بلا ثمرة، فمصيري إلى الفرز والحريق، فلا تتأخر عليّ كثيرًا بل تعالَ أيها الرب واسقني من ماء الحياة لأُخرِج أثمارًا تليق بالتوبة، لقد سمعتُ عن الفأس التي وُضِعَت على أصل الشجرة غير المُثمرة، وكُنتُ أستخِفُ بذلك المقال ولا أرثى لذلك الحال،

حتى صار هذا القول عليّ، وذاك الحال صار حالي!، فيا رب تمهل عليّ وأعطني فُرصة للتوبة لأن مشيئتك ألا يموت الخاطئ بل يتوب ويعود إليك، سمعتُ بالدائنِ والمَدين وما كُنتُ أظن يومًا أني سأصيرُ مديونًا حتى بعد الموت، كان الدين في حياتي همًّا بالليل وذُلًا بالنهار، فصار مماتي همًّا لا يزول وذُلًا لا يَحول، كُنتُ أكتم خطاياي خوفًا من الفضيحة يومًا وهربًا من الخجل والعار ولم أعلم أنني بذلك جعلت فضيحتي أمامي إلى الأبد وخجلي وعاري يُلازمانني إلى الدهر، فيا رب أعطني شجاعة لأعترفُ بذنبي وأُقرُ بخطيتي لأنك أمينٌ وعادل حتى تغفرها لي ولا تذكُرها إلى الأبد.

أخيرًا دَق الباب ودلف إلى الداخل، انحنى أمام رئيس الدير ولثم يده، ثم وقفَ أمامه والدموع تملأ عينيه، ومن دون أن يتحكم في لسانه وجد نفسه يقول:

- يا أبتِ لقد جئتُ إليكَ بقلبٍ مُتوسل ونفسٍ خاشعة أطلُب الترهُّب.

***

أربعون يومًا انقضت على وفاة "رمزي" زوج "شهوة"، فكانت تَشعُر هذه الأخيرة طوال تلك الفترة أنها مسئولة بشكلٍ ما عما حدث لزوجها، أو ربما هو عقاب السماء لها على ما اقترفته من ذنب.

أمام القبر الصامت الذي حَوى جسدي والدها وزوجها وشاهده الذي كان شاهدًا على قصة حبها وضياع المحبوب، بَكَت "شهوة" لا على فقدانها زوجها فحسب، بل على ما ارتكبته من جُرمٍ في حَق نفسها ووالدها وزوجها الراحل، بكت على سني عمرها التي انفرطت من دون أن تجتمع بحبيبها.

جالت ببصرها في أرجاء المكان ربما تصطدم عيناها بملامحه التي تجمدت في ذاكرتها على آخر صورة رأته عليها، ترى كيف صارت ملامحه الآن؟! هل ذبلت وشحبت بعد فقدانها؟، أم أنه واصل حياته مع امرأة أخرى أحبها قلبه فأنسته محبوبته الأولى التي حال الزمان بينهما؟!

كانت تشعُر في ذلك الوقت باحتياجها الشديد لوجود أمها "سمرة" رحمها الله إلى جوارها، وهي التي ما عرفت معنى الأمومة منذ أن فتحت عينيها للحياة.

الوحيدة التي استطاعَت أن تبث دفء الأمومة إلى قلبها هي خالتها "صفية" زوجة "عبد المعطي" صديق والدها، فما إن تَستكين "شهوة" بين ذراعيها حتى يهدأ قلبها وتَصمت أمواج اضطرابه العاتية.

إحساسها بالذنب لم يكُن ناتجًا عن حُبها لزوجها، فما كان يربطها به سوى ذلك الحُب الاعتيادي بين الأزواج، وما كان يربطه بها سوى علاقتهما الحميمية، ولكن إحساسها بالذنب كان ناتجًا عن تسليمها جسدها بإرادتها لمن لا حق له فيه، وبذلك تكون قد ارتكبت خيانة عظمى في حق اثنين من الرجال، أولهما زوجها الذي أصبح مالكًا شرعيًّا لجسدها، وثانيهما حبيبها الغائب الذي خانت حبه بأن سلمت جسدها لآخر غير المالك!

أربعون يومًا انقضت من دون أن يُحاول "ميلاد" الاتصال بها، ولم تسمع عنه شيئًا واحدًا، كما لو أنه قد اختفى من الوجود، حتى أنه لم يحاول أن يقدم واجب العزاء لها في وفاة زوجها، ولم يتناقش معها فيما اقترفاه من ذنب ليُحاولا معًا إيجاد حلٍّ، اختفى تمامًا وكأن شيئًا لم يكُن.

تستمع "شهوة" إلى ما تحكيه لها خالتها "صفية" من أحداث كثيرة عاشتها مع والدتها "سمرة"، فتبكي والدتها أضعاف ما تبكي زوجها، وتبكي غياب حبيبها أضعاف ما تبكي زوجها، وتبكي زوجها أضعاف ما تبكي حالها، تُرى أكانت لتُعاني ما تُعانيه الآن لو كانت والدتها إلى جوارها؟

تخرُج "صفية" من الغرفة لتُلبي نداء زوجها "عبد المُعطي"، فتنهض "شهوة" من الفراش وتقفُ أمام المرآة تنظُر إلى انعكاس صورتها، ذلك

الأسود الذي ترتديه فيفرض سواده على قلبها وروحها، ذلك الوجه الذي كان جميلًا مُضيئًا كقُرص الشمس فأعتمته هي بخطيئتها وضعفها، تبًّا للجمال الذي يكون لعنة صاحبه!

خارج الغرفة كان "فايز" جالسًا إلى جوار "عبد المُعطي" فأتت "صفية" من الداخل مُهرولة على نداء زوجها الذي أشار لها إشارة ذات معنى، فدخلت هذه الأخيرة إلى المطبخ وما هي إلا ثوانٍ وعادت تحمل صينية معدنية عليها كوبان من الشاي الصعيدي الثقيل وضعتها أمامهما وقالت:

– مسكينة هي شهوة يا حَبة عيني.. ما رأت أمها ولا بقي لها زوجها.. أما في الدنيا سواها لكل هذه المصائب؟! عيني عليكِ يا ابنتي.

أومأ "فايز" برأسه آسفًا، فاستطردت موجهة حديثها إليه:

– ابنتك أمانة في رقبتك يا سي فايز.. مسكينة ما توقفت عن البكاء.

– لا تقلقي يا أم سيد، فهي ابنتي وآخر ما تبقى لي من المرحومة أمها.

نظر "عبد المعطي" إلى زوجته التي بدا أنها ستواصل الحديث حتى صباح اليوم التالي وقال:

– ماذا بكِ يا مَرة؟ هل ستبقين هنا طوال النهار تولولين وتنوحين بدلًا من أن تبقي إلى جوار البنت المسكينة لمواساتها؟!

انصرفت "صفية" مُسرعة إلى الغرفة حيث تجلس "شهوة"، بينما مَد "فايز" يده يسحب قصبة الجوزة من "عبد المُعطي" الذي قال:

– هل عُدت لتدخين الجوزة مرة أُخرى؟

قال "فايز" والأسى في صوته جلي:

– والله ما عادت تفرق يا عبد المُعطي يا أخوي.. ليتَني مُتُّ وبقيَ لشهوة زوجها.. البنت ما ذاقت طعم الفرح يومًا وكأن الحُزن مكتوب عليها من يوم ولادها.

تنهد "عبد المُعطي" في ضيق وربت على كتف "فايز" مواسيًا:

– هَوِن عليكَ يا فايز يا أخوي.. قَدر الله وما شاء فَعل.. شهوة ما زالت صغيرة ولا يوجد بين نساء الأرض من في مثل جمالها وطيبتها وحُسن أخلاقها وألف من يتمنى الزواج بها.. إن شاء الله بعدما ينتهي العام الأول على وفاة زوجها تُزوجها خير الشباب الذي يكون عوضًا لها عما ذاقته من مرارة الدنيا.

لم يَفُه "فايز" بكلمة، فشعر "عبد المُعطي" بعدم جدوى كلامه، ولم يعرف ما ينبغي عليه أن يفعله أو يقوله، كان يُفكِر في داخله، «مسكينٌ أنت يا فايز ومسكينة هي ابنتك.. والله الذي لا إله إلا هو ما رأيت في العور كُلها من هو أطيب منك قلبًا.. ربنا يصبرك على ما ابتلاك يا اخوي».

"فايز" أيضًا كان يُفكِر في تلك اللحظات في "عبد المُعطي" صديقه المُخلِص، «ماذا كُنت لأفعل من دونك يا عبد المُعطي؟! بعزة صليب مُخلصنا الفادي أنت أقرب لي من أخوي راضي.. في فرحي القليل كُنت إلى جواري فرِحًا كُل الفرح وفي أحزاني الكثيرة كُنت أنت من تُهون عليّ الصعاب.. الرب يفرح قلبك بابنك سيد وتحيا لترى أحفاده يا أخوي».

طال الصمتُ بينهما فقام "عبد المُعطي" بتشغيل جهاز التلفاز ليقطع الصمت، وأمسك بجهاز التحكم عن بُعد وراح يُقلب بين القنوات الفضائية، قال مُداعبًا في مُحاولة لكسر حاجز الصمت:

- ألم تعثر لي على فتاة مليحة من فتيات القاهرة لأتزوجها بعدما أطلق تلك البومة صفية؟

ابتسم "فايز" ابتسامة بسيطة وناول "عبد المُعطي" قصبة الجوزة، فراح هذا الأخير يسحب منها أنفاسًا مُتقطعة وهو يقلب بين القنوات بلا هوادة، وكأنه يستعرض كَم القنوات في جهازه حتى توقف أخيرًا على إحدى القنوات ووضع جهاز التحكُم عن بُعد إلى جواره.

على شاشة التلفاز ظهر الإعلامي الشاب "وليد مندور" في أولى حلقات برنامجه الجديد "اختلاف"، دار حديثه الشائق مع ضيوفه مما جذب انتباه "فايز" و"عبد المُعطي" فأصغيا سمعهما إلى ما يُقال، ورويدًا رويدًا بدأ التجَهُّم يغزو ملامحهما ولم يستطع أيٌّ منهُما أن ينظُر إلى وَجه صديقه، وكأن شيئًا ما يعكر صفو الجلسة في كلمات "وليد مندور".

وفي داخل الغرفة لم تستطع "شهوة" أن تلجم لسانها عن سؤال خالتها "صفية" عن حبيبها الذي لم تره منذ أن ضبطهما والدها متعانقين في حوش المقابر، فأجابتها "صفية" وقالت:

- أكل العيش يا ابنتي.. قرية العور يعاني أهلها العوز والحاجة، وفي النهاية يضطرون إلى السفر إلى الخارج.. الله يعيده إلى أهله سالم يا ابنتي.

- هل تعرفين إلى أين سافر يا خالتي؟

سألت "شهوة" بشغف واضح في نبراتها، فأجابتها "صفية" وقالت:

- سافر إلى ليبيا يا ابنتي.. حتى سيد ابني يفكر في السفر مرة أخرى بعدما أضاع عمره في السفر ولم يتزوج حتى الآن.. الله يلطف بنا وبأولادنا وبعباده أجمعين.

- ليبيا؟!

رددت "شهوة" بصوت خافت أقرب إلى التمتمة، وتمنت لو أنها تجد سبيلًا يمكنها من مقابلته مرة أخرى، كانت "صفية" ما زالت تتحدث، ولكن "شهوة" لا تصغي لحرف واحد مما تقول، وفي عقلها تتردد كلمة واحدة.. "ليبيا".

***

# (10)

# الحلقة الثانية

- أعزائي المُشاهدين في كُل مكان أهلًا بكُم في الحلقة الثانية من برنامجكُم "اختلاف"..معي في الأستوديو ضَيفَيّ الكريمين من الحلقة السابقة جناب القُمُص كيرلس وهبة أُستاذ عِلمَي الدفاع اللاهوتي واللاهوت المُقارن بالكُلية الإكليريكية، وفضيلة الشيخ محمد حاتم أُستاذ عِلمَي الفِرَق والأديان والمذاهب بكُلية أصول الدين..أهلًا بكُما..في الحلقة السابقة تحدثنا معًا عن الخلاف حول لاهوت السيد المسيح، كما تحدثنا عن المجمع المسكوني في نيقية وقانون الإيمان المسيحي الذي وضعه آباء الكنيسة الأوائل، ولكن الخلاف لم ينته بما أقره المجمع المسكوني في نيقية.. فضيلة الشيخ مُحمد حَدِّثنا عن باقي الخلافات حول لاهوت السيد المسيح.

قام الشيخ "محمد حاتم" بترتيب أوراقه وقال:

- بسم الله الرحمَن الرحيم، الحمدُ لله رب العالمين والصلاة والسلامُ على سيد الأولين والآخرين وعلى آلهِ وصَحبِه ومن تَبعَهُ بإحسانٍ إلى يوم الدين وارضَ اللهُمَ عنا معهم أجمعين، اللهُمَ آمين، أما بعد، الشّقاق حول مسألة ألوهية المسيح عيسى ابن مريم أمر طبيعي، فكيف لإله أن يكونَ له

أُم بشرية؟! ألا يُشبه ذلك ما كان يعتقده الإغريق القُدامى في آلهتهم؟! حتى نسطور بطريرك قُسطنطينية كان له تعاليمه التي اختلفت مع كون المسيح إلهًا مولودًا، وهذا ما استدعى انعقاد المجمع المسكوني في مدينة أفسُس.

كالعادة أمسك "وليد مندور" طرف الخيط قبل أن يتغير مجرى الحديث وسأل الشيخ "محمد" قائلًا:

- وما تعاليم نسطور يا فضيلة الشيخ؟

- قال نسطور إنما وَلدت مريم إنسانًا اتحدَ بمشيئة الإله - يعني عيسى - فصار الاتحاد بالمشيئة خاصةً لا بالذات، وإن إطلاق الإله على عيسى ليس هو بالحقيقة، بل بالموهبة والكرامة، وقال أيضًا إن المسيح حلَ فيه الابن الأزلي وإني أعبده، لأن الإله حَلَ فيه، وأنه جوهران وأقنومان ومشيئة واحدة، وقال في خطبته يوم الميلاد إن مريم وَلدَت إنسانًا، وأنا لا أعتقد الألوهية في ابن شهرين وثلاثة ولا أسجُد له سجودي للإله، وأن المولود من مريم هو المسيح والمولود من الأب هو الابن الأزلي، وأنه حَلّ في المسيح، فَسُمِيَ ابن الله بالموهبة والكرامة، وأن الاتحاد بالمشيئة والإرادة.

هُنا قال "وليد مندور" مُوَجِهًا حديثه للقُمُص "كيرلس":

- جناب القُمُص حدِّثنا عن مجمع أفَسُس وقراراته بشأن ما قاله نسطور.

تنحنح القُمُص "كيرلس" وقال:

– انعقد المجمع المسكوني الثالث[1] في مدينة أفَسُس ضد نسطور بأمر الإمبراطور ثيؤدوسيوس الصَغير وقد حضره مائتا أُسقُف وتحدد لافتتاحه يوم عيد العنصرة[2] عام **431**م، وأصدر المجمع حُكمه ضد نسطور قائلًا، "حيثُ إن نسطور كُلِيَ النِّفاق، قد رفضَ أن يخضع لصوت دَعوتنا إياه، ولم يَقبَل الأساقِفة اللذينَ أرسلناهُم إليه من قِبَلنا، لم يُمكننا أن نتأخر عن أن نفحَص تعالِيمه الآثمة، وبما أننا قد تحققنا من رسائله وأقواله قبل افتتاح المجمع ما يُبرهِن على مُعتقده الأثيم، لهذا رأينا بناءً على القوانين المُقدسة، أن نُبرِز ضده هذا الحُكم بكُل حُزنٍ ودموع، سائلينَ المَولى بواسطة هذا المجمع المُقدس أن يُعدمهُ درجة الأُسقُفية وليكُن مُفرَزًا من أية شركة كهنوتية، وبعدَ أن وَقَع الجميع على الحُكم السابِق أرسلوا إلى نسطور كتابًا قائلين: "من المجمع المُقدَس المُلتئِم بمدينة أفَسُس، برحمة الله تعالى وبموجَب تعاليم مُخلصنا الفادي، وباسم جلالة الإمبراطور الكُلي العبادة والحَسِن الديانة إلى نسطور يهوذا الثاني، اعلَم أنه لأجل تعاليمك النفاقية وعصيانك على القوانين، قد عُزِلت وقُطِعت من هذا المجمع المُقَدس بموجَب قوانين الكنيسة، وحُكِمَ عليكَ بأنكَ عديم الدرجة ومسلوب الوظيفة وغريب من كل خدمة كنسية".. ثم قرر المجمع بحسب التعليم المحفوظ في الكنيسة مُنذ عَصر الرُّسُل أن سر التجسُّد المجيد قائِم في اتحاد اللاهوت والناسوت في

[1] كان هُناك مَجمع مسكوني بين مجمع نيقية، ومجمع أفَسُس وهو مَجمع القُسطنطينية.

[2] أطلق لَفظ العنصرة أو العيد الخمسين على العيد الذي يُحتَفَل به بعد عيد الفِصح بخمسين يومًا وهو عيد حلول الروح القُدُس على جماعة التلاميذ.

أقنوم الكلمة الأزلي من دون انفصال ولا امتزاج ولا تغيير، وأن السيدة العذراء هي والدة الإله، ووضَع الآباء مقدمَة قانون الإيمان كالآتي: "نُعظِمك يا أُم النور الحقيقي ونُمجدك أيتُها العذراء القديسة والدة الإله، لأنكِ ولدتِ لنا مُخلِص العالم، أتىَ وخَلّص نفوسنا، المجدُ لكَ يا سَيدَنا ومَلِكنا المسيح، فَخر الرُسُل، إكليل الشُهداء، تَهليل الصديقين، ثبات الكنائِس، غُفران الخطايا، نُبشِر بالثالوث القُدوس، لاهوت واحد نَسجُد لَهُ ونُمَجدهُ، يا رب ارحم، يا رب ارحم، يا رب بارِك، آمين".

نظر "وليد مندور" إلى الشيخ "محمد حاتم" وسأله:

- نُبَشّرِ بالثالوث القُدوس... شيخ محمد كيف ترى الثالوث المسيحي؟

- الإسلام يرفُض فكرة الثالوث ويعتبرهُ كُفرًا كقول الله تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَة وَمَا مِنْ إِلَه إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

التفت "وليد مندور" إلى القُمُص "كيرلس" وقال:

- جناب القُمُص اشرح لنا فِكرة المسيحية في الإيمان بالثالوث وأن الله ثالثُ ثلاثة.

قَلَب القُمُص "كيرلس" بعض الأوراق أمامه وقال:

- يُحاول البعض أن يجعل من عقيدتنا الخاصة بالتثليث والتوحيد دليلًا على الإشراك وعلى الإيمان بتعدُد الآلهة، مثلما كان يحدُث في عهد

[1] سورة المائدة 73.

الوثنيين، عندما كان قُدماء المصريين يؤمنون بأكثر من ثالوث وثني، حيثُ كانت توجد لديهم مجموعات من الآلهة تتكون كُل مجموعة منها من ثلاثة آلهة، ولكن شِتان بين اعتقادنا المسيحي بالتثليث وبين هذا الاعتقاد الوَثني، فالتثليث المسيحي هو الإيمان بإلهٍ واحد في الجوهر ذي ثلاثة أقانيم أو صِفات، أما الثالوث الوثني فهو تعَدُد آلهة، كما أن التثليث المسيحي أزلي غير مُختَلِف الزمن لأن الثالوث واحد، أما الثالوث الوثني فهو مُتغير الزمن، فنَجِد أنه في وَقتٍ ما كان أوزوريس بمُفرده وكانت إيزيس بمُفردِها، ثُمَ رُزِقا بعد الزواج بابنهما حورس الذي قَطعًا يصغرهُما في السِن، بعكس الثالوث المسيحي لأن الله الأب موجود مُنذُ الأزل وفيه عقله "الابن" وروحه "الروح القُدُس"، كما أن التثليث الوثني فيه تناسل وتزاوج، وهذا غير وارد مُطلقًا في التثليث المسيحي، لذلك سأتحدثُ عن الثالوث المسيحي كما نؤمِن به نحن المسيحيين.. مما لا غُبار حوله أن الله ونُطقه أزليين بأزليته وإلا لكانَ مخلوقًا وهو الخالِق وهذا مُحال، فالله موجود بذاته ناطق بكلمته حَي بروحه، وهذه هي العقيدة المسيحية في الله، والتي يُعبَر عنها بالتثليث والتوحيد، والتي يُطلَق عليها "الأب والابن والروح القُدُس".. فالأب هو الذات الإلَهية والابن هو الكلمة والروح القُدُس هو روح الله، وهذه الصفات لا تقتضي ولادة جسدية يكون فيها الأب كائنًا قبل الابن، لأن الولادة المقصودة هُنا هي ولادة روحية أزلية أبدية، وللتقريب نقول إن ولادة الابن العجيبة من الأب وانبثاق الروح القُدُس تُشبِه صدور الحرارة وانبثاق النور من لهب النار، فمتى وُجِدَ اللهب كان النور وكانت الحياة، وقد يظن البعض أن اللهب هو النور والحرارة،

وهذا الظن ليس حقيقيًّا لأن اللهب ليس بمُفرده نارًا وكذلك الحرارة، أما الصحيح فهو أن اللهب والنور والحرارة معًا يُمكِن أن يُطلق عليهم كلمة نار، ولا يُمكِن إطلاق كلمة النار على إحدى الخواص الثلاث السابقة إلا بشرط وجود الخاصتين الأخريين، فالأب أبٌ أبدي والابن ابنٌ مُنذُ الأزل والروح القُدُس مُنبَثِق انبثاقًا سَرمديًّا، لذلك فالقول بثلاثة أقانيم لا يعني القول بثلاثة آلهة، لأن تعدُد الخواص والصِفات لا يستلزم تعدُد الذات، والإسلام يؤكد هذه الحقيقة وهي أن المسيحيين يؤمنونَ بإلهٍ واحد في قَوله: ﴿وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ﴾[1]، لذلك فنحنُ المسيحيين نؤمِن بإلهٍ واحِد ضابِط الكُل خالِق السموات والأرض، جوهَر واحد كُلي الكمال.

***

[1] سورة العنكبوت 46.

# (11)

# تقلبات وتحولات

ستة أشهُر مَرت تقرب فيها الطبيب "حازم راشد" من "شهوة"، حتى أصبح وجوده يعني الحياة بالنسبة لها، هو من خفف وجوده إلى جوارها وكلماته الرقيقة معها، من عذابات ضميرها ولومه المستمر لها على ما اقترفته من ذنب في حق زوجها الراحل وحبيبها الغائب.

ما زال "حازم" لا يعرف سببًا لتعلقه الشديد بها ورغبته في التقرُّب منها والارتباط الشرعي بها حتى بعد نوالها، ربما كان السبب جمالها الآخاذ وملامحها الطفولية وحنانها وبرائتها غير المعهودَتين.

كما لم يَكُن يعرف السبب الحقيقي وراء سماحِها له بالتَقرُّب منها ومُجاراته في أحاديثه معها، ولكن رُبما كانت وحدتها القاتلة بعد وفاة زوجها هي السبب.

حاولَ مِرارًا إقناع عقله بالابتعاد عنها، فديانته تختلف عن ديانتها، ولكنه لم يُفلِح في ذلك، كانت مشاعره وشهوته المتأججة تجاهها دائمًا ما

تهزمه، كما هزمته من قبل وأفقدته تعقله يوم قام باغتصاب النشوة من أنوثتها المتفجرة وهي تحت تأثير التخدير الجراحي.

يعلم أن الإسلام يَسمح له بالزواج بمسيحية، ولكنه لا يَقبل أن يتزوج من امرأةٍ على غير ديانته، حتى وإن قال لها عكس ذلك! هو لا يخدعها ولكنه لا يقبل، فما قاله من قبل لم يقله إلا لطمأنتها والسيطرة على عقلها.

في فترته الأولى من حديثه معها حاول أن يتجنب مُحاورتها حول اختلاف الأديان، ولكن بعدما اكتشفَ تعلُقه بها حَد الجنون قَررَ أن يُحادثِها عَلّهُ يتمَكن من جعلها تُغير دينها إلى الإسلام، فيتمكن حينها من الزواج بها.

فَكر في مُحاورة والده ليتعَرف منه على الديانة المسيحية بشكلٍ أعمق حتى يُمكنَهُ أن يُجادلها ويُناقشها في اعتقاداتها، فهو يعلم ما لدى والده من حُجة وعِلم، ولكنه عَزفَ عن ذلك لخوفه من أن يعرف والده السبب الحقيقي وراء ذلك، فيَمنعهُ عما انتوى، لذلك تَقرب إلى أحد الشيوخ يُدعى "أحمد السلماوي"، والذي يُعرف عنه بُغضه الشديد للنصارى.

صارحهُ "حازم" بما عَقد العَزم عليه، فوَجدَ منهُ تشجيعًا كبيرًا وأيّدَ فكرتهُ، ثُمَ بدأَ الأول يحضر معه وبعض الإخوة جلسات كثيرة تحدثوا معه فيها عن المسيحية وكُفر المسيحيين البَين في إيمانهم بإلهٍ نزلَ من السماء وماتَ على خَشبة الصليب التي كانت عِقابًا بالموت للمُجرمين الآثمين الذين يهابهم المجتمع ويقرر الخلاص منهم، أي إله هذا الذي يسمح أن

يهان من بشر خلقهم بأمر منه؟، أي إله هذا الذي يؤمنون به هؤلاء النصارى!

في إحدى هذه الجلسات قال له الشيخ "أحمد السلماوي":

– فليُساعدك الله يا حازم يا ولدي فيما انتويته، وتأكد يا أخي أننا جميعًا نؤيدك ونُساعدك فيما ستفعله، فما تُحاول أن تفعلهُ إنما هو جهادٌ في سبيل الله، فالجِهاد لهُ طُرُق عديدة هذه واحدةً منها.. انظُر يا أخي إلى هَؤلاء المسيحيين وكُفرِهُم البَين، كيف أنهم يؤمنونَ بإلهٍ مَولود، يلعَب مع أقرانه ويرضَع من ثَديَي أُمه ويأكُل ويَشرَب ويَبول ويَفعَل كُل ما يَفعله الناس.. أليسَ هذا كُفرًا؟! وكقول الله تعالى في كتابه الكريم ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾1، فما تُحاول أن تَفعلهُ يا وَلَدي سَوف يُجزيكَ الله عنه ثوابًا عظيمًا، فأنتَ تُحاول أن تُعيد هذه الفتاة المسيحية عن ضلالها، لتتوبُ إلى الله فيغفر لها كقوله تعالى ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾2.

---

[1] سورة المائدة 17.

[2] سورة المائدة 39.

حديث الشيخ "أحمد السلماوي" أشعَل الحماسة في قلب "حازم" الذي بدأ يُجادل "شهوة" في دينها بحواره اللَين، ومعرفةٍ وعِلم استقاهُما من جلساته الكثيرة مع الشيخ "أحمد السلماوي" وجماعَتِه من الإخوة.

ستة أشهُر كاملة مرت على "ميلاد" مُنذُ أن ترك العالم بصخبه وضوضائه، وطلبه للترهُب في دير الأنبا بولا بصحراء البحر الأحمر...

ستة أشهُر كاملة لم يسمع فيها صوت والده الرجل الطيب الذي أفنى عمره وصحته في تعليمه.

كثيرًا ما كان يُفكر في الاتصال بوالده ووالدته ليسمع صوتيهما ويُطمئِن قلبيهما، ولكنه كان يعزف عن ذلك لأن «ليس أحد يضع يده على المِحراث وينظُر إلى الوراء يصلُح لملكوت الله»1

ستة أشهُر كاملة زاره فيها طيف "شهوة" ليلومه ويُبكته على ما اقترفه من ذنب في حقها، فكان يُحاول إبعاد تلك الأفكار عن رأسه، حتى لا يتسلل الشيطان إلى عقله، فيُثنيهِ عن طريق النُسك ويُعيده إلى ما زهدَ فيه.

حاول "ميلاد" في فترة اختباره في الدير قبل سيامته راهِبًا أن يُرهِق جسده في العمل،فكما قال بولس الرسول، «أقمع جسدي وأستعبده»2، حتى لا تُهاجمه الأفكار الشيطانية التي يسعى إبليس في إدخالها إلى عقله المليء بالمُفارقات والتناقُضات.

---

[1] (لو 62:9).

[2] (١كو 11:9).

كان يقضي مُعظم وقت راحته في القراءة في الكتاب المُقدس وبعض سِيَر القديسين والآباء الرُهبان الأوائِل، واضِعًا في عقله قول الكتاب المُقدس، «انظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم»[1].

يقرأ سيرة حياة القديس "موسى الأسود" فتُعطيه بارقة أمل في أن يقبل الله توبته كما قبل توبة "موسى الأسود" وصَيَّره قديسًا عظيمًا، بعدما كان قاتلًا ولِصًّا، فيُصلي "ميلاد" وهو يتأمل الصحراء بصمتها من حوله:

– أيها الرب الإله الرؤوف يسوع المسيح ابن الله، إذا تذكرتُ مجيئك المرهوب لمُداينة خليقتك ومُجازاة كُل واحد كنحو أعماله تضطرب عظامي وتنقطع قوة نفسي من جسدي، ويقلق ويضطرب قلبي، كيف أوجد أنا الخاطئ في تلك الساعة الرهيبة وكيف أمثل بحضرة مجلسك المرهوب؟ كيف أوجد أنا المُتواني مع الكاملين؟ وأقف أنا الجدي عن يسارك إذا أفرزت الخراف عن يمينك؟ كيف أوجد أنا العديم الثمار مع الذين امتلؤوا هُنا بثمار العدل والبِر؟ ماذا أصنع إذا بُعثَ الصديقون إلى النعيم وبُعثتُ أنا إلى النار؟ يرى الشُهداء أتعابهم وتعذيبهم والنُّساك فضائلهم، وماذا لي أنا إلا رخاوة نيَتي وكَسَل نفسي التي لا حياة لها، بل مقَتت هي نفسها وحياتها التي اجتذبتها عادات السوء وأفكار الخُبث التي هي قُدامها في كل وقت سحابة مُظلمة تُحجِزها عن الوقوف لديك يا رب.. أنا تركت زلاتي وأصغيتُ إلى هفوات الآخرين، نسيتُ خشبة عَيني ومَدَدتُ يدي بوقاحة لأُخرج القذى الذي في عين أخي، ها قد صرتُ بلا

---

[1] (عب 13:7).

عُذرٍ أمامك بسبب وقاحتي، ولا حجة لي عن أعمالي الرديئة وأفكاري الخبيثة لأنك أعطيتني كل المواهب الصالحة التي لبَني الإنسان.. فِهمًا وتمييزًا ومعرفة روحانية واستنارة عقل، فليس لي بعد ذلك عُذرًا في خطاياي ولا في واحدةً منها، لأنني أخطئ بمعرفة وأُنجس نفسي وأُحزِن نعمتك وروح قُدسك في مُتكاسِلٍ ومُتوانٍ.. مُسترخٍ وحسود.. خبيث ومُمتلئ من تذكار الشر!! إني أعجب كيف تسكُن نعمتك فيمن صار حاله هكذا! كيف لم تترُكني عنك؟! كيف لم تنصرف عني؟! آه يا رب يا حَنان أسألك ألا تتركني يا قدوس، بل لتُدركني رحمتك ولتطهرني من دنس فكري ورداءة عملي وتجعل لي قلبًا نقيًّا.. أيُها السيد الرب القُدوس، أتقدم إليك بنفسي المحزونة مُتضرعًا إليك لتنقذها من العدو المُفسِد، ساجدةً لك بتواضُع، مُستغيثةً بكَ من أجل أن ترحمها من المُعانِد الشرير الذي يُحزنها، فإذ قد تدانت إليكَ بوقاحة استجب لها سريعًا، وإذ قد التجأت إليكَ بشوق فتعهدها باهتمام، لأنكَ إن عرضت عنها وهي محزونةً هكذا هَلكَت، وإن أبطأت عن إجابتها فَنيَت.. أما إذا تفقدها برأفتك ومراحمك فقد ظَفرَت، وإن أقبلتَ إليها بناظرِك خَلُصَت وإن استجبت لها تأيدت.. هكذا يا رب تتوق نعمتك لتُبصر تائبًا يتوب، وتتعطش لدموع النادم الراجع إليك، اظهر إذًا يا رب بحنوك على عبدك وارثَ لضعفي وارحمني، لأنه بعد أن جرحني العدو وقفَ يستهزئ بي.. وكما أيقظك تلاميذك الأطهار قُم انتهر الريح والجِم موج البحر الثائر عليّ، وكما منحت نازفة الدم صحة من مرضها بعد تعب الأطباء وعجزهم عن مُداواتها، امنح نفسي الحزينة شفاءً من مرضها وأرِحها من تعيير العدو يا طبيب نفسي الحنون، اظهِر في

أعضائي حكمتك وأضئ فيها نور جمال الطهارة، فتصير جراحاتي التي أنت تعرفها جيدًا غير دنسة أمامك لتظهر قوة نعمتك فيها، فأصيرُ بجملتي هيكلًا مُقدسًا لكَ.

انتهى "ميلاد" من صلاته لدى رؤيته أحد الآباء الرُّهبان مُقبلًا نحوه وتبدو على وجهه علامات السعادة، فانحنى على يده ولثمها، ثُمَ قال:

- أغابي يا أبتِ.[1]

- أغابي يا ابني.

ما إن اعتدل "ميلاد" حتى احتضنه الراهب في سعادة وقال:

- نَعمًا أيُها العبد الصالِح والأمين، كُنتُ أمينًا في القليل فأقامك الربُ الإله على الكثير.[2]

ابتهج "ميلاد" وتلعثم، فخرج السؤال من بين شفتيه مُتقطعًا:

- هل تقصِد... حقًا... يا أبتِ؟!

ابتسم الراهب ابتسامةٍ عذبة وربَتَ على كتفه مُطمئنًا:

- نعم يا ولدي لقد تَقَرَر ميعاد سيامتك راهِبًا بعد أسبوعينِ من الآن.

***

---

[1] تحية الرُهبان لبعضهم وتعني "محبة".

[2] النص الأصلي في الكتاب المُقدس كالآتي: «فقالَ له سَيدهُ نَعمًا أيُها العبد الصالِح والأمين كُنتُ أمينًا في القليل فأُقيمك على الكثير ادخُل إلى فرح سَيدك» (مت 21:25)

بَكى "ميلاد" كثيرًا وهو تحت الغِطاء في أثناء مراسم سيامته راهبًا[1]، وبدأ يُصلي في نفسه بحرارة شديدة والدموع تتساقط من مُقلتيه:

– يا صانع الكُل الذي بحكمتك خلقت كل شيء لتدبير حياتنا، وإذ عُدِمنا الحياة جددتنا بأسرارك لنكونَ أولادًا لربوبيتك المُقدسة، وقدستنا بحلولك في هيكلنا الناطق بقوتك العظيمة الغالبة، ألجِم يا رب فم العدو المارد من الكلام في نفوس عبيدك بالملامات والتجديف، ارفع عقولهم إلى وطن معرفتك التي ليسَ فيها عواصف الشكوك الباطلة، يا رب يسوع المسيح اكشف مكايد الأشرار قُدام عبيدك بقوة روح قُدسك أيُها الشُّعاع المُمجد الذي أشرق لنا من حضن الأب، الذي بحُسنكَ تسبي كل شهوة مُحبيك، كُن في معونة عبيدك الضعفاء في وقت جهادهم وابدل حركات شهوتهم إليكَ لكيلا يشتهوا شيئًا آخر غيرك.

أُزيح الغِطاء عنه فوقف "ميلاد" باسمه الجديد.. الراهِب "يوليوس" الأنبا بولا[2].

***

[1] من طقوس سيامة الراهب أن يُغطى بالكامل وهو مسجي على ظهره للأرض، ويتلون عليه صلاة الجِنازة التي تُصلى على الموتى قبل دفنهم تعبيرًا عن موته عن العالم وانفصاله عن حياته القديمة ليبدأ حياته الجديدة ناسكًا زاهدًا في مباهِج الحياة.

[2] بعد إزاحة الغطاء ينهض الشخص وقد أصبح راهِبًا باسم جديد ليبدأ به حياته الجديدة، ويكون الاسم المُختار له من أسماء الملائكة أو التلاميذ أو الشُهداء أو أباء الكنيسة الأوائل والرهبان يتبعه اسم الدير الذي ينتمي الراهب إليه.

(12)

# ذكريات أليمة

- لماذا اخترت تخصص الجراحة من بين جميع تخصصات الطب؟

سألت "شهوة" حبيبها "حازم" الذي أسر تفكيرها وبات يشغله بالكامل في الفترات الأخيرة، فأجابها الأخير بكلماته الرقيقة الجذابة كعادته:

- اخترته لأن قدري أن أجري جراحة لأجمل نساء الكون فتحتل قلبي وتسكن روحي.

ابتسمت بخجل وقد أصابت رعشة خفيفة جسدها انتشاءً بكلماته الرقيقة، فحاولت إخفاء ارتباكها بأن سألته سؤالًا قَلَب كيانه، وذَكره بما لم يكن يرغب في تذكره:

- هل تذكر اليوم الأول الذي رأيتني فيه جيدًا؟

وهل يمكن له أن ينساه؟! حاول إخفاء ارتباكه بأن أجابها بكلمات مقتصرة:

- نعم أذكره - جيدًا.

ثم تمتم هام ساً لنفسه:

- كيف ـ لي أن أنساه؟!

لم ت سمع ما قال، ولكنها بادرته بما زاد من ارتباكه:

- احكِ لي.

استجمع "حازم" شتات فكره، وبدأ يسترجع ذكريات ذلك اليوم العصيب، الذي بدأه بحديثه مع والده عن وجوب معاملة أهل الكتاب معاملة حسنة، وانتهى بفعلته الوضيعة مع واحدة من أهل الكتاب، غرَّه جمالها وأغوته شهوتها، فنزع عنه برقع الحياء وانحدر إلى هاوية الزنا.

***

يومها استيقظ "حازم راشد" الطبيب الشاب من نوم القيلولة قبل ميعاد ذهابه إلى المُستشفى بساعة ونصف الساعة، فنهض من فراشه واتجه إلى الحمام ليغسل وجهه، حانت منه التفاتة إلى غُرفة والده، فرآه راكعًا على سجادة الصلاة يُتمتم بصوتٍ خافِت.

غَسل "حازم" وجهه وأعدَ لنفسه كوبًا من الشاي، ثم جلس في الصالة وقام بتشغيل جهاز التلفاز على إعادة حلقة الأمس من برنامج "اختلاف" للإعلامي الشهير "وليد مندور".

أخفَض الصوت حتى لا يُسَبِب تشويشًا لوالده في أثناء الصلاة، فأتاه صوت الدُّعاء الذي يُتمتم به هذا الأخير من الداخل:

- اللهُمَ إني أسألُكَ بأسمائِكَ التي إذا دعيتُ بها على مغاليق السموات للفتح انفتحت، وأسألُك بأسمائِكَ التي إذا دعيتُ بها على مغاليق الأرض للفرج انفرجت، وأسألُكَ بأسمائِكَ التي إذا دعيتُ بها على أبواب العُسر لليُسر تيسرت، وأسألُكَ بأسمائِكَ التي إذا دعيتُ بها على الأموات للنشر انتشرت، يا عزيز مَن للذليل غيرك، يا قوي مَن للضعيف غيرك، يا غني مَن للفقير غيرك، اللهُمَّ إني أسألُكَ بهذه الأسماء كلها وأنت تعلَمُ حاجتي فاقضِها يا مُجيب الدعوات يا قاضي الحاجات يا غافِر الذنب والخطايا يا رب العالمين.. اللهُم كما زَينتَ بحار أرضك باللؤلؤ والمرجان زَين قلوبنا بالتقوى والغُفران والعِتق من النيران.. اللهُمَ سَخِّر لي خيار خلقِكَ وأبعد عني شرارهم برحمتِكَ يا عالِم ما في الصدور..اللهُم ارزُقنا إجابة الدُّعاء وصلاح الأبناء وحُسن الأداء وبركة العطاء..اللهُم اكتب لنا مَحو الذنوب وسَتر العيوب ولين القلوب وتفريج الهموم وتيسير الأمور.. اللهُمَ اشفي مريضنا واهدِ ضالّنا وفَرِج هَمنا، اللهُم آمين.

ما هي إلا دقائق معدودات ثُم خرج والده بخطوات بطيئة من أثر التقدُّم في العُمر مُمسكًا بين يديه بسجادة الصلاة، فهبَ "حازم" من مكانه ليأخُذ بيده ويسنده، ثم أجلسه إلى جواره في الصالة.

- حَرَمًا يا حاج راشد.

- جمعًا يا ابني.

- أما زلتُ مُصِرًا يا أبي على الصلاة من دون أن تجلس على المقعد؟!

ابتسم الحاج "راشد" وربَتَ على كتف ابنه وقال:

- يا ولدي لا أشعُرُ بخشوعٍ في صلاتي إلا إذا أحنيتُ جبيني للأرض وسجدتُ لله.

بضيق قال "حازم":

- نعم يا أبي، ولكن للسِّن أحكامها.

ابتسم الحاج "راشد" وهَم بقول شيءٍ ما عندما التفتَ إلى شاشة التلفاز، فرأى "وليد مندور" وهو يُناقش الشيخ "محمد حاتم" والقُمُص "كيرلس وهبة"، فقال:

- أغلق هذا البرنامج يا ابني.

باستغراب سأله "حازم":

- لماذا يا أبي؟!

تنهد الحاج "راشد" في ضيق وقال:

- اسمع يا ولدي.. المصريون جميعًا نسيجٌ واحد، كلنا نحيا معًا نصارى ومُسلمين في ترابُط مُنذ القِدم، فالدين لله والوطن للجميع... أمثال هذه البرامج لا تسعى إلا لجني المال الذي يتدفق عليهم من الإعلانات، ولا يهتم القائمون عليها بوحدة مصر وترابُط شعبها.. يفحصون ويُمحصون في الاختلافات بين الأديان ولا يكترثونَ لما تُسببه برامجهم من شِقاقٍ وخلافات بين أبناء الشعب الواحد.

قاطعه "حازم" بقوله:

- ولكن اختلاف الرأي لا يُفسد للود قضية يا أبي.

بثباته وعقلانية أفكاره وحكمته تابع الحاج "راشد" وقال:

- ليس في مصر يا ولدي.. ليس في مصر، ولا عندما يتعلق الأمر بالأديان، فالمصريون مُتدينون بطبعهم ولا يقبلون من يُجادل فيما يَدينونَ به، ثُم إن قُرآننا العظيم أوصانا باحترام الأديان ومعاملة أصحابها مُعاملة حَسنة، لا أن يجرح بعضنا بعضًا طاردين الحُب من قلوبنا، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1] وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[2] وفي قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[3]، فينبغي لنا يا ولدي أن نتعامل معًا بالحُب، وأن نتقبل الغير، ومن شاءَ فليؤمن ومن شاءَ فليكفر، كقول الله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[4].

انتهى الحاج "راشد" من حديثه، فنهض "حازم من مكانه وقال:

---

[1] سورة المائدة: 69.

[2] سورة العنكبوت: 46.

[3] سورة المائدة: 82.

[4] سورة البقرة: 256.

- عُذرًا يا أبي، يجب أن أذهب لتغيير ملابسي حتى لا أتأخر عن عملي.

سار خطوتين في اتجاه غُرفته ثم التفتَ إلى والده مرةً أخرى وسأله:

- هل ستتأخر والدتي في زيارتها لأختي؟

ابتسم الحاج "راشد" وقد فهم ما يرمي إليه ولده، فقال:

- لا تقلق عليّ يا ولدي..اذهب إلى عملك فأنا لا أحتاجُ شيئًا ولسوف تعود والدتك عما قريب.

ابتسم "حازم" وانصرف إلى غرفته، قام بتبديل ملابسه ثم نزل من البناية واستقل إحدى سيارات الأجرة إلى المُستشفى، وفور دخوله من الباب استقبلته إحدى المُمرضات وقالت:

- دكتور حازم لقد بحثتُ عنك كثيرًا.. يطلبون حضورك إلى غرفة العمليات لإجراء عملية استئصال الزائدة الدودية لإحدى المريضات.

أومأ لها برأسه موافقًا، واتجه إلى غرفة التعقيم ومن ثم إلى غرفة العمليات لإجراء الجراحة.

وبعد انتهائه من إجراء العملية ونقل المريضة إلى غرفة الإفاقة، انصرف الجميع وبقي هو وحده يتأمل جمال تلك المريضة الغارقة في بحر الغيبوبة..

يا له من جمالٍ لم يرَ مثله من قبل! كيف لمريضة بهذا الوهن ومن دون أية مساحيق تجميلية أن تكون بمثل هذا الجمال؟!

لا يعرف لماذا أسره جمالها لهذا الحد، حتى أنه لم يستطع بعد مُحاولات عديدة أن يخرج من الغرفة، وبقي شاردًا يتأمل ملامحها الملائكية البريئة.

لا يعلم لماذا تتلاعب الظنون برأسه.. حاول أن يُقاوم جموح أفكاره الشيطانية ولكنه لم يستطع وفقدَ سيطرته على نفسه.

وجدَ نفسه رغمًا عن إرادته يُعريها ويتحسس جسدها بأنامله، فتزداد حُمم البراكين اشتعالًا في داخله.. ذهب عقله إلى حيثُ لا يعلم، فنزع عنه ملابسه وراح يُجاهد للسيطرة على صوت تأوهاته المُنتشية!

اللزوجة التي لطخت جسده وجسدها والإحساس العارم بالنشوة الذي تملك منه، أطفئا نيران الشهوة في داخله، وأعادا عقله المسلوب إلى رأسه ليكتشف حجم الجريمة التي ارتكبها، فها هو الطبيب الشاب الذي يُشيد الجميع بأخلاقه وحُسن سلوكه قد اغتصب مريضته التي لا حول لها ولا قوة!

بارتباك شديد راح يُحاول إخفاء آثار جريمته، يُهندم ملابسه ويمسح السائل اللزِج عن جسد مريضته المسجى أمامه، ثُمَ يُعيد تغطيتها وكأن شيئًا لم يكن!

يومها وقبل إجراء الجراحة كان الجسد الذي تمنى جميع الرجال امتلاكه قد وهن من الحُزن والحسرة على ما أصابها من فقدان حبيبها، تبعه اغتصابها ممن يماثله اسمه وكان يبدو أنه يماثله طباعه حتى كشر لها عن أنيابه وافترسها بإرادتها، وانتهى الأمر بأن مات زوجها قبل أن تتمكن من لومه على كل ما أصابها، وإلى جانب أوجاعها النفسية وشروخ روحها بدأت نوبات قاسية من الألم تنتاب جانِبها الأيمن.

بخبرهٓا الطبية أدركت أنها تُعاني التهاب الزائِدة الدودية، ولكنها لم تُحاوِل أن تعرِض نفسها على الأطباء، بل رُبما تمنت لو تنفجر في داخلها، فتُنهي عذاباتها وتُخرِس صوت ضميرها الذي بات يلومها حتى على ما تتنفسه من هواء!

أحيانًا كثيرة كانت تُفكِرُ في نفسها عما إذا كان مُمكِنًا لأرواح الموتى أن يعرفوا أحداث الماضي والحاضر، فماذا لو عَلِمَ "رمزي" أنها أسلمت جسدها لرجلٍ آخر غيره وخانته في ذات اليوم الذي مات فيه، وكأنه رحلَ عن العالم بسبب جُرمها الذي لا يُحتَمَل!

ماذا لو أمكنهُ سماع صوت تنهُداتِها وتأوهاتها وهي بين ذراعي آخر؟!

تعلم في داخلها أنها ما كانت تنتوي خيانة زوجها يومًا، أو قل إنها ما كانت تنتوي خيانة حبيبها الأول!، بل إن زوجها رحمه الله وسامحه هو من تسبب فيما أحاط بقلبها من الحُزن والكآبة.

كما كان قلبها أحيانًا كثيرة يُحدثها ببراءة "ميلاد" من فعلته معها، بل إن ضميرها كان يلومها كثيرًا مُوجِهًا اتهامه لها بأنها هي من أسقطت "ميلاد" في هوة الخطية السحيقة.

حاولت الاتصال بميلاد مرارًا من دون أن تعرف سببًا لذلك، ولكنها لم تحصل قط على رد، هاتفه كان مُغلقًا في كل مرة تحاول فيها التواصل معه، وكأن ذلك الشخص الذي تُحاول الاتصال به ما كان يومًا موجودًا في هذه الحياة.

آلام الزائدة الدودية تُعاود جانبها الأيمن، فتبكي مُتوجعة وتُحاول أن تتماسك وتتحامل على نفسها بكل ما بقي لديها من قوة... رفضت بعد وفاة زوجها أن تنتقل للعيش في منزل والدها وأصرت على البقاء في منزلها، فهي لن تحتمل مُضايقات "عفاف" زوجة أبيها، خاصةً وهي في تلك الحالة.

آلام جانبها باتت لا تُحتمَل، فما كان منها إلا أن اتصلت بوالدها وطلبت مجيئه على وجه السرعة، لا خوفًا من الموت الذي ترغُبه ولكن لإخماد نيران الألم التي لم تعُد تحتملها.

حضرَ والدها بسُرعة شديدة وحملها بين ذراعيه وهي تصرُخ وتتلوى من الألم، ثم وضعها في سيارته وانطلق بها مُسرعًا إلى المُستشفى، وهُناك قام طبيب الاستقبال بفحصها ظاهريًا، ومن ثُمَ قام بتحويلها إلى غُرفة العمليات واستدعى أحد الأطباء الجراحين للقيام بعملية استصال الزائدة الدودية لها.

غُرفة العمليات برائحتها المُميزة، وطبيب التخدير يحقِنها بالسائِل الذي ما أن سرى في عروقها حتى تسرب وعيها منها لتجد نفسها في عالم الغيبوبة الرهيب.

هُناك رأت نفسها خلف القُضبان الحديدية ورأت زوجها قادمًا إليها من بعيد،حتى وصل إليها فوقف أمامها ونظر إليها والشرَر يتطاير من عينيه.

- أنتِ يا شهوة؟! أنتِ يا زوجتي وابنة عمي؟! تطعنينني في ظهري وتُلوثينَ شَرفي بنجاستك؟! تطمسين وجهي في الوحل بدناءتك! أتفعلينَ هذا بي بعدما أحببتك كل الحُب؟! لعنة الله عليكِ يا شهوة.

انصرف عنها وهو يسُبها ويلعنها، فبَكَت مُتوسلة أن يُسامحها ولكنه كان قد اختفى تمامًا، وبعد قليل وجدت "ميلاد" واقفًا أمامها وهو يبكي بحُرقة، فتسيل الدموع من مُقلتيه دمًا.

- أيكون جزائي بعد ما فعلته معكِ ووقوفي إلى جوارك في محنتك أن توقعين بي في شرك الخطية يا شهوة؟ أضَعتِ حياتي وأظلمتِ قلبي بدنسك.. لعنة الله عليكِ يا شهوة!

ابتعد عنها وهو يلعنها فأطرقت برأسها للأرض لترى الدماء التي انسابت من مُقلتيه قد ازدادت وارتفعت حتى اقتربت من صدرها، وراحت تعلو أكثر فأكثر حتى لم يعُد في بمقدورها أن تلتقط أنفاسها، فتركت نفسها لتغرق في دماء ذنبها.

***

## (13)

## الراهب

في طريقها إلى الدير بعدما قرر والدها اصطحابها معه وأخاها الأصغر غير الشقيق "مينا" لينتفعا ببركة صلوات الرهبان النساك العابدين، الذين زهدوا في الحياة، وانقطعت صلتهم بالعالم الخارجي، فصارت حدودهم صحراء الدير الواسعة، ومن حين إلى آخر يستقبلون زيارات الزائرين الذين يطلبون التبرك بصلواتهم التي لا تنقطع، تصارعت الأفكار والتساؤلات في عقل "شهوة".

ترى هل شعر والدها ما أصابها من تغيرات أعقبت علاقتها العاطفية مع الطبيب "حازم" أثارت شكوكه، فأصر على اصطحابها معه إلى الدير علها تعود إلى تفكيرها الأول؟! أم أن الأمر لا يعدو أكثر من كونه طلبًا للتبرك بصلوات الرهبان، لما رآه في مصابها الأخير بموت زوجها المدمن، ومرضها، والكآبة التي طغت على روحها؟!

حضرت معهم القداس بجسدها فقط، أما عقلها فقد كان سابحًا في عوالم أخرى أبعد ما تكون عن عالم الدير المنغلق على نساكه.

كانت تفكر في "ميلاد" الأول والثاني وما تسببا لها فيه من آلام نفسية حطمت فؤادها، وتركتها فريسة سهلة للكلمة الطيبة، حتى أنها أصبحت في حيرة من ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ومن علاقتها بوالدها وحبيبها الجديد الذي لم يستطع برغم كل ما بثه في حياتها من بهجة أن يمحو آثار أطلال مدينة حبيبها "ميلاد" الأول وجحيم قاتلها "ميلاد" الثاني!

أما عن "ميلاد" الثاني" الذي تحول إلى الراهب "يوليوس"، فصلواته التي لم تنقطِع أبعدت أمواج الأفكار الشريرة عن رأسه، فغاب طيف "شهوة" عن مُخيلته ولم يعُد يُطارده كالسابق، ولكن بَقيت خطيئته أمام ناظريه يُقدم عنها توبة دائِمة في صلواته المُتكررة.

جَلسَ الراهب "يوليوس" بعد انتهاء صلاة القُداس على إحدى الصخور، فجاءَ إليه بعض من جاؤوا لزيارة الدير ليُصلي لهُم ويُباركهُم، وما إن انصرفوا حتى عادَ يُناجي ربه أن يَغفِر له ويَجعلهُ مُستحِقًا لارتداء قلنسوة الرهبنة، التي يضعها على رأسه:

– جِسمي مُشتَمِلٌ عليّ بزِي العبادة ونَفسي مُقيدة بأفكار غير لائقة، أتورَع أمام الناس وفي داخلي وحشٌ لا يستأنِس، أُحلي كلامي للناس وأنا من داخلي مرارة وخُبث، فماذا يا ترى يا رب أنا صانع يومَ تُكشَف خفايا القلوب؟! أنا أعلمُ أنكَ تُعذبني هناك إذا لم أستعطفك هنا بالدموع، لذلك تؤخِر عني سخطك وتنتظر عودتي وتوبتي، لأنك لا تشاء أن يحترق أحد بالنار، بل تُريد أن الجميع يَخلصون ويدخلون الحياة الأبدية، فإذا أثِقُ برأفتكَ يا ابن الله أسجُدُ لكَ طالِبًا، فانظُر إليّ واخرِج من سجن المآثم

نفسي.. أشرِق فيّ شُعاع نورك.. أنِر ذهني قبل أن أمضي إلى المُداينة المرهوبة التي تنتظرني، حيثُ لا يُمكن توبة ولا تنفع حسرة أو ندم، فأنا الشقيِّ المُنافِق إذ أرى نفسي مُقيدةً هكذا ومَضبوطة بالعادات الرَديئة، وما تُريدُ أن تَنفك منها، أشتهي الانفصال عن الجسد بجُملته لئلا أبقى فأزداد خطية، ولكني أخافُ كيفَ أمضي وأنا مُثقَل بالذنوب، مُجرَد من الفضائل، فتلقاني النار المؤبدة، فالآن أنا تحيرتُ يا رب ووقفتُ بين الأمرين لا أدري ماذا أختار لنفسي، فقد صِرتُ مثل التاجر المُتواني العاجِز الذي يخسر في كل ساعة رأس المال مع الرِبح، هكذا أنا أخسر الخيرات السمائية بما أفعله من العادات الردية، وأتعجب من توبتي التي لا أساس لها، كل أيامي أبني وأنقض، فما لتوبتي المحمودة ابتداء ولا لنيَتي المذمومة انتهاء، تَعَبدتُ لمشيئة عَدوي باسترخاء وأنا في كل ساعة نشيط في تكميل إرادته، فمَن يُعطي لعيني ينابيع دائمة تَفيض عَبرات، فأبكي كل وقت لديك أيها الرب الرؤوف وأسألك أن تُرسِل لي نعمتك فتنتَشلني من أمواج بحر الخطايا، لأن خطايايَ قد كثُرت عليّ وجراحاتِ ما تقبل عصائِب الشفاء... أقولُ في كل وقت أنني أتوب فأتوبُ باللفظ فقط، وبالفِعل أنا مُبتعد عن التوبة أتذَمر إذ أتت الشدائد وأنسى ما كُنتُ فيهِ من راحة، فأنا الشقي أخطئ وأمتَهِن كرامة اسمِكَ القُدوس، ولكن قد وَثقتُ برأفتك وإمهالك، فأتضرعُ إليكَ يا رب خَلصني واعطِ عَبدك سؤلَ قلبه الذي يسأل من تحَنُنك.

انتبه من صلاته على صوت ذلك الرجل الذي يتبعهُ شابٌ وفتاة، وقفوا جميعًا أمامه، وانحنى الرجل يلثم يده، ثُمَ قالَ وهو يُقدِم الشاب خطوة إلى الأمام:

– صلواتك لابني يا أبَتِي فهو مُسافر عما قريب للعمل في ليبيا.

وضعَ الراهب "يوليوس" كَفه على رأس الشاب الذي أحنى جَبهته وباركه، فعاد الشاب خطوة إلى الخلف وقدم الرجل ابنته وقال:

– صلواتك لابنتي يا أبَتِي، فالـــــــــ......

قبل أن يُكمل الرجل عبارته تلاقت عينا الراهِب "يوليوس" بعينَي الفتاة ليجدها "شهوة"!

اضطرب قلبه وانزعج بشدة، وكأنه رأى الشيطان نفسه، فركضَ مُبتعدًا بسُرعة، من دون أن ينطِق بكلمة واحدة، وراح يُردد في نفسه:

– بعينٍ مُتَحننةٍ يا رب أُنظُر إلى ضَعفي، فعما قليل تفنى حياتِي وبأعمالي ليس لي خلاص، فلهذا أسأل بعينٍ رحيمة يا رب انظُر إلى ضَعفي وذُلي ومَسكنتي وغُربتي ونَجني.

بخطوات مُسرعة وكأنه يهرب ممن يُطاردهُ اتجه إلى مكتب رئيس الدير، دَق الباب ثم دلفَ إلى الداخِل، ووقعَ إلى الأرض وراح يؤدي ميطانيات[1] كثيرة، فنهضَ رئيس الدير من مِقعده وأقامه من الأرض وسأله:

---

[1] ميطانية كلمة يونانية تعني التوبة والمعنى الحرفي لها هو تغيير الفكر الباطني أو تجديد الذهن، والميطانية هي السجود الكامل إلى الأرض حتى تُلامس الجبهة التراب وهي علامة تسليم الحياة كلها لله.

- ماذا بِكَ يا ابني؟

قال الراهب "يوليوس" والدموع تتساقط من عينيه:

- عَدو الخير لا يتركني يا أَبَتِ وليس في مقدوري مُحاربته.. أرجو منك أن تسمح لي بالسكنى في إحدى مغارات الجبال.. أرغب في حياة الوحدة يا أبتِ.

أجلسهُ رئيس الدير إلى جواره ثم قال في محاولة منه لتهدئته:

- أنت تعلمُ يا ابني كيف هي حياة الوحدة، فحياة الوحدة شاقة، يحتاج الراهب منا إلى سنوات عديدة قبل أن يَسلُكها وأنت حديث العَهد بالرهبنة يا ولَدي ولن تحتمل حياة الوحدة ومشقتها.

وقعَ الراهب "يوليوس" على يده ولثمها، ثم وقع على الأرض وراح يؤدي ميطانيات كثيرة، فلما رأى رئيس الدير إصراره ودموعه الغزيرة، رَق قلبه فقال:

- حسنًا يا ابني، ليكُن لكَ كشهوة قلبك.

***

لم تستطع "شهوة" أن تتعرف إلى "ميلاد" عندما قابلته في الدير، فارتداؤه زي الرهبان مع لحيته التي استطالت جعلا من الصعب عليها أن تتبيِّن ملامحه، كما أن الفرصة لم تتح لها لتتأمله لأكثر من ثوانٍ معدودات، فر بعدها هاربًا من نظراتها، فتعجبت كثيرًا من سلوك ذلك الراهب الغريب في التعامل معها بأن ركَضَ مُبتعدًا عنها ما إن التقت عيناها بعينيه،

ولكنها فسرت ذلك بسلوك الرُهبان الغريب وابتعادهم عن النساء وزُهدهم في كل ما يَخُص حياة العالم.

بعد عودتها من الدير كان عقلها مُشوَشًا يعج بالأفكار المُتناقِضة، لا تعرِف ما تُريد أن تفعله.

وما كان يُحيرها فعلًا عندما كانت تُفكِر في الأمر، أنها تُؤمِنُ بصِحَة الديانتين برغم اختلافهما!

وَدَت لو تجلِس مع مُمَثِل عن كل ديانة في جلسةٍ واحدة يُناظِر كلٍ منهُما الآخر لإثبات صِحة عقيدته وإقناعها بما يعتقد.

فجأة لَمع في ذهنها اسم "وليد مندور" مُقدِم البرامج الشهير، الذي يُقدم برنامجًا عن اختلاف الأديان.

ماذا لو أمكنها مُقابلته لتطلب منه أن يُجلسها مع ضَيفيه الدائمين بعيدًا عن أضواء الكاميرات، ليتحاوروا معها فيُثبت لها أحدهما صِحة عقيدته ويُرسي في داخِلها جذور الإيمان القَويم، بعدما باتت مُتشككة في كل شيء.

بحثت عبر صفحات الإنترنت عن مكان الأستوديو الذي يُصور فيه حلقاته، فذهبت إلى هُناك وساعدها أحد العاملين هناك في الوصول إلى مُساعد "وليد مندور"، الذي رضَخَ لرغبتها بعد ما رآه فيها من إصرار على مُقابلته بها، وحَدَد لها ميعادًا بعد تصوير إحدى الحلقات.

ذهبت في الميعاد المُحدد إلى الأستوديو، فقابلها مُساعد "وليد مندور" وأجلسها في غُرفة الأخير حتى ينتهي من تصوير حلقته الجديدة في البرنامج.

انتظرت في الغُرفة لما يزيد عن الساعة وهي تُحاول في عقلها أن تُرتب ما ستقوله وكيف يُمكنها أن تطلب ما تُريده من "وليد" بصورة تجعله يوافق على طلبها ويُنفذهُ لها.

دخل "وليد مندور" إلى الغرفة، فصافحها وجلس على مقربة منها، ارتباكها وحيرتها لم تجعلاها تُلاحظ ارتباكه الظاهر على وجهه، فما إن رآها حتى فَتنه جمالها وسحرته ملامحها الرقيقة، فخالجته الظنون الأثيمة.

حاولت أن تتكلم فتحجرت الكلمات في حلقها ولم تخرُج من شفتيها، فاقترب منها "وليد مندور" وابتسم في وجهها ثم قال:

- أرى أنكِ مُرتبكة ولا تستطيعين الكلام.. ما رأيك لو أننا تحدثنا فيما تودين في سيارتي بعيدًا عن ضوضاء هذا المكان؟

وكأنه أنقذها من ارتباكها وحيرتها، أومأت برأسها مُوافقة، ونهضت من مكانها، ثم اتجهت معه إلى خارج الاستوديو، وجلست إلى جواره في سيارته الفخمة، فسألها وهو يُدير مُحرك السيارة بمُفتاحه:

- ما اسمك يا سيدتي؟

قالت وهي تُحاول إخفاء ارتباكها خلف ابتسامة زائِفة:

- اسمي شهوة.

شهوة! يا له من اسم! ما من اسم يُمكنه أن يُعبر عن هذه الفتاة أكثر من هذا الاسم، فهو – وليد – برغم كل علاقاته النسائية ما رأى يومًا من هي أجمل من تلك الفتاة التي تجلس إلى جواره الآن تُحاول إخفاء ارتباكها بالصمت.

تُرى ما الذي تُريده تلك الفتاة؟! هل هي واحدة من مُعجباته الكثيرات اللاتي يسعين دائمًا إلى معرفته والتقرب منه؟!

ما من تفسير لديه سوى هذا التفسير الذي يتمنى أن يكون حقيقيًا!، ولا يقبل إلا أن يكون حقيقيًّا!

سألها مُحاولًا استبيان نياتها:

– ما رأيك لو تذهبين معي إلى منزلي حيثُ يُمكننا أن نتحدث في هدوءٍ أكثر؟

شعرت ببعض الريبة من لهجته فقالت رافضة عرضه بتهذيب:

– من الأفضل أن نبقى في السيارة.

– كما تُفضلين.

قالها موافقًا حتى لا يثير الشكوك في داخلها، فهو لا يعرف حتى هذه اللحظة السبب الذي أتى بها إليه.. واصل السير حتى توقف بالسيارة في مكانٍ خالٍ، فأوقف المُحرك والتفت إليها، فاصطدمتا عيناه بعينيها.

يا لهُما من عينين شديدتي البأس صرعتا قلبه وأزاحا عقله عن رأسه، ففقدَ تعقله وثباته وراح ينظُر إلى ملامحها وجسدها باشتهاء.

قالت "شهوة" بارتباك:

- أنا....

- أنتِ ساحرة.

عَلَت الدهشة ملامحها عند سماعِها ما قال، ونظرت إليه بعينين مُتسعتين مذعورتين، لا تدري أبعاد موقفها بَعد، ولا ما أقحمت نفسها فيه.

- ماذا؟!

سألت مستفهمة عن عبارته، التي لا تصدق أنه قالها، فأجابها بأن مَدَّ "وليد مندور" ذراعه اليمنى إلى صدرها وضغطَ على نهدها الأيسر بإصبعيه، وقد بدا وجهه محمرًا تفوح رائحة الشهوة من أنفاسه الساخنة.

صفعتهُ بكفها اليمنى على خده الأيسر بقوة، وبصَقَت في وجهه، ثُمَ ترجلت من السيارة وصفقَت بابها بعُنف.

- أنت حيوان.

قالتها وهي تبتعد عنه هاربة، كفريسة نجت بنفسها من بين أنياب الضواري، فانطلق "وليد مندور" بسيارته مُسرِعًا قبل أن يراه أحد، فتهتز صورته أمام الناس بعدما زادت شعبيته إلى أقصى حدودها عقب برنامجه الأخير.

في منزلها بَكَت "شهوة" كثيرًا، ولعنت جمالها الذي تسبب في كل ما لاقته من عناء، فتحول جمالها من نعمة أنعم الله بها عليها إلى نِقمة أحالت حياتها جحيمًا لا يُطاق!

لماذا لا تمتد أبصار الناس إلى ما هو أبعد من حدود جسدها الفاني؟!

لماذا لا يرى الجميع فيها إلا مومِسًا وُجِدَت لإشباع شهواتهم الدنيئة؟!

لماذا وهي الطبيبة التي تعهدَت بمُداواة جروح المُتعبين يجرحها الجميع ويستَحِلون جسدها هكذا؟!

لماذا تحول الجميع إلى ذئاب مُفترسة ينهشون لحمها وهي الحَمَل الضعيف؟!

فكرت في نفسها، «حازم هو الوحيد الذي لم يُحاول يومًا استباحتي... حازم هو الوحيد الذي أشعُر معه بالاطمئنان».

وجدَت نفسها تُمسِك بهاتفها وتطلُب رقمه، ثُمَ تَضع الهاتف على أذنها في انتظار سماع صوته، لإخباره عن قرارها النهائي الذي اتخذته في أمر علاقتهما معًا.

***

# (14)

# الهارِبَين

لقاءاته الكثيرة مع الشيخ "أحمد السلماوي" وجماعته غَيرت من تفكيره ونظرته إلى الأقباط بشكلٍ كبير، فبعدما كان يَراهُم أهل الكتاب المُوحدينَ بالله، دخلَ الكُره إلى قلبه وبات يراهُم كُفارًا يؤمِنونَ بثلاثة آلهة ويَكفرون بنصوص القُرآن والدين الإسلامي.

كما بات يَرى أن قبول والده لهُم ومُعاملته الحَسِنة معهم سلبية مُنفرة غير صحيحة وغير واجب السكوت عنها، فالدين عند الله هو الإسلام، ومن لا يدينون بدين الله لا يستحقون المعاملة الكريمة التي يغمرهم بها المجتمع الفاسق.

دَقَ هاتفه، فانتزعه من أفكاره السوداء، كانت "شهوة" هي من تَتصِل، قام بالرد وانشرح صدره لما قالتهُ، فارتدى ملابسه على عجل وانطلق لُمقابلة الشيخ "أحمد السلماوي" مُرشده ومُعلمه، لإخباره بالأمر والأخذ برأيه فيما ينبغي عليه أن يفعله في مثل هذا الظرف.

جلَسَ أمامه في زاوية أحد المطاعم والسعادة تُطل من وجهه في أبهى صورها وقال:

- شهوة وافقت يا شيخ أحمد.. سوف تُعلِن إسلامها للجميع ونتزوج.

صَمَتَ قليلًا وكأنه تذكر شيءٌ ما ثم استطرد والقلق يخيم على نبرات صوته:

- ولكني أخشى من رد الفِعل المُصاحِب لما سنفعله.. بما تنصَح فضيلتك؟

وكأنه كان ينتظِر سماع سؤاله مُنذُ زمن، احتضنه الشيخ "أحمد" بسعادة وفخر، ثم قال:

- اسمع يا حازم يا وَلَدي .. كُنتُ أوَدُّ أن أخبرُكَ بهذا الأمر مُنذُ فترة ليست بقليلة ولكني كُنتُ أنتظِر الوقت المُناسب، ولقد أذن الله أن يكون هذا الوقت الآن.

- تكلَم يا شيخ أحمد كُلي آذانٌ مصغية.

- يقول الله تعالى في كتابه العزيز ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[1] صدق الله العظيم، لذلك يا ولدي أُريدُكَ أن تعلم أن النصارى لن يقبلوا الأمر ولن يَمُر عليهم مرور الكِرام، فَفي ظِل حكومَةٍ كافرة تَتبع أهواءهم

---

[1] سورة البقرة 120.

الدنيئة وتُبيح لهم أن يفتحوا أبواب كنائسهم على اتساعها طوال اليوم، ويستأسدونَ علينا بالتبشير لديانتهم، لن يكون من السهل عليكَ إتمام ما انتويته، لذلك أنصحُكَ بالسفر إلى الخارِج حيثُ إخواننا في العراق والشام وليبيا يُجاهدون في سبيل الله لإعلاء راية الإسلام فوق ظُلم الكافرين، وهُناك تُعلن امرأتك إسلامها بعون الله، وتتزوجها في حما الله وإخوانك المُجاهدين الصابرين على ما كُتِبَ عليهم من جهاد، وفقنا الله وإياهُم.

تعَجَب "حازم" كثيرًا مما قاله الشيخ "أحمد السلماوي"، وبدا عقله مشوشًا غير قادر على اتخاذ القرار المناسب بشأن هذا الأمر فضلًا عن استيعابه من الأساس، فقال:

- ولكن أنت تعلم يا شيخ أحمد ما في العِراق والشام وليبيا من اضطرابات وقِتال، وشهوة مَسيحية.. سَيَكون من الصعب أن تسافر قَبل أن تُعلِن إسلامها هُنا في مِصر.

ابتسم الشيخ "أحمد السلماوي" بسخرية، وكأن ما قاله "حازم" كان سخيفًا إلى أبعد الحدود، وقال مهدئًا ما شاع على ملامح وجهه من اضطراب:

- يا وَلَدي لا تَقلَق.. إخواننا المُجاهدون من تَنظيم الدَولة الإسلامية لَن يَعترِضوكَ وزوجَتك، فنحن تابِعون لهُم وسنوصي بك لديهم ونُعلمهم بالأمر كله.. فلا تقلق منهم فلن يكونوا ضِدك بل سيُساعدونك في إتمام الأمر.

ما قاله الشيخ "أحمد السلماوي" كان غريبًا على سمع "حازم" ومخيفًا له بعض الشيء، فسأله مُستفسرًا:

- ماذا قُلت يا شيخ أحمد؟! أنتَ وجماعة الإخوة تابِعون لتنظيم الدولة الإسلامية؟!

لم يَحصُل على جواب من الشيخ "أحمد السلماوي" فصَمَتَ قَليلًا يُفكِرُ في الأمر، ثم قال وقد بدا أنه اقترب من اتخاذ قراره بالموافقة:

- ولكن كيف أحيا هناك؟ وماذا أعمل؟

بدت كل أسئلته سخيفة مبتذلة للشيخ "أحمد السلماوي"، فمن هم بمثل قوتهم لا يُسألون عن أشياء تافهة كتلك التي يسأل عنها "حازم"، ولكنه ربَت على كَتف الأخير وقال:

- لن يتركك إخوانك هناك يا وَلَدي، سيوفرون لك ولزوجتك مكانًا للإقامة، وبصفتك طبيبًا ستعمل في مُداواة إخواننا المُجاهدين، ولا تقلق يا ولدي سنوفِر لك ولزوجتك كل ما تحتاجه بدءًا من سفركما وكل ما تحتاجه من مال فيه وانتهاءً بإقامتك وعملك، وصدقني يا وَلَدي لن يُمكنكُ أن تجني خيرًا أفضل من ذلك، أن تحيا مع زوجتك المُسلمة بين إخوانك في الله ويكون عملك في سبيل مرضاة الله، وتتقاضى من المال كل ما تحتاجه لتحيا حياةً كريمة في رحاب الإسلام.

كل ما قاله الشيخ "أحمد" كان مُناسِبًا لما يُريده "حازم" عدا مسألة السفر خارج مصر، فهو لا يُريد أن يبتعد عن والده ووالدته، ولكنه عزا ذلك إلى أنه سوفَ يُرسِل لهُما كل ما يحتاجاه من مال، وكأنه قد سافر للعمل في الخارج كآلاف المصريين.

كما أنه سيحيا في رضا الله الذي هو خير من رضا الوالدين، وسيحصُل على محبوبته التي أرادها تحت راية الإسلام وظِله.

اتفق مع الشيخ "أحمد" على ترتيب كُل شيء، وسافر مع "شهوة: إلى ليبيا بعدما أخذت هذه الأخيرة كل ما كانت تملكه من جواهر، وهُناك استقبلهُما الشيخ "أبو المغيرة القحطاني" والي شمال أفريقيا بنفسه بتوصية من الشيخ "أحمد السلماوي"، وأوجد لهُما سَكنًا بعدما أعلنت "شهوة" إسلامها وارتدت الإسدال وغيرت اسمها إلى "شيماء"

***

ظهر التنظيم لأول مرة تحت اسم "جماعة التوحيد والجهاد" في شهر سبتمبر 2003م، تحت قيادة "أبو مصعب الزرقاوي".

في أكتوبر 2004م، أعلن "الزرقاوي" البيعة لزعيم تنظيم القاعدة "أسامة ابن لادن "،وقام بتغيير اسم جماعته لـ "تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين"، وعُرفت باسم "تنظيم القاعدة في العراق"، رغم أن التنظيم لم يدعُ نفسه بتنظيم القاعدة في العراق، إلا أن هذا الاسم ظل متداولًا بين الناس.

في يناير 2006، اندمج التنظيم مع مجموعة من التنظيمات الأخرى وشكلوا مجلس شورى المجاهدين في العراق.

في 12 أكتوبر 2006، اندمج التنظيم مع عدة تنظيمات أخرى، وفي 13 أكتوبر تم إعلان اسمه الجديد "دولة العراق الإسلامية".

في 8 أبريل 2013، توسَّع التنظيم إلى سوريا، وتبنى اسم "الدولة الإسلامية في العراق والشام"، وأُطلق عليه اسم "داعش" اختصارًا من أولى حروف اسمه.

رفضت "داعش" هذا الاسم، وعاقبت بالجلد كل من يستخدم هذا الاسم في المناطق التي تسيطر عليها.

في 29 يونيو 2014م، أعلن التنظيم تغيير اسمه مرة أخرى إلى "الدولة الإسلامية" فقط، معلنًا نيته إقامة خلافة عالمية.

انتقدت العديد من المؤسسات والجهات، والمجموعات الإسلامية اختيار هذا الاسم، ورفضت استخدامه، يشاع الآن إطلاق اسم "داعش" على التنظيم، كما يُطلق على المنتمين له اسم "الـــدواعش".

بعد تشكيل جماعة "التوحيد والجهاد"بزعامة "أبي مصعب الزرقاوي" في عام 2004، وتلا ذلك مبايعته لزعيم تنظيم القاعدة السابق "أسامة بن لادن"، ليصبح "تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين"، كثف التنظيم من عملياته إلى أن أصبح واحد من أقوى التنظيمات في الساحة العراقية، وبدأ يبسط نفوذه على مناطق واسعة من العراق،إلى أن جاء في

عام 2006 ليخرج "الزرقاوي" على الملأ في شريط مصور معلنًا عن تشكيل مجلس شورى المجاهدين بزعامة "عبد الله رشيد البغدادي".

بعد مقتل "الزرقاوي" في نفس الشهر، جرى انتخاب "أبو حمزة المهاجر" زعيمًا للتنظيم، وفي نهاية السنة تم تشكيل دولة العراق الإسلامية بزعامة "أبي عمر البغدادي".

وفي يوم الإثنين الموافق 19 إبريل 2010م شنت القوات الأمريكية والعراقية عملية عسكرية في منطقة الثرثار استهدفت منزلًا كان فيه "أبو عمر البغدادي" و"أبو حمزة المهاجر"، وبعد اشتباكات عنيفة بين الجانبين واستدعاء الطائرات تم قصف المنزل ليقتلا معًا، وتم عرض جثتيهما على وسائل الإعلام.

وبعد أسبوع واحد اعترف التنظيم في بيان له على شبكة الإنترنت بمقتلهما، وبعد حوالي عشرة أيام انعقد مجلس شورى الدولة ليختار "أبا بكر البغدادي" خليفة له و"الناصر لدين الله سليمان" وزيرًا للحرب.

وبعد اندلاع الحرب الأهلية السورية، التي اتخذت في بدايتها طابعًا قمعيًّا، حيث تجلت في قمع المظاهرات التي كانت تقام ضد نظام الرئيس "بشار الأسد".

وسرعان ما أصبحت مسلحة بدأ تكوين الفصائل والجماعات لقتال النظام السوري، وفي أواخر العام 2011 تم تكوين "جبهة النصرة" بقيادة " أبي محمد الجولاني"، حيث أصبح الأمين العام لها

واستمرت الجبهة بقتال النظام، حتى وردت تقارير استخباراتية عن علاقتها الفكرية والتنظيمية بفرع دولة العراق الإسلامية.

بعد ذلك أدرجتها الولايات المتحدة الأمريكية على لائحة المنظمات الإرهابية، وبتاريخ 9 أبريل ظهر تسجبل صوتي منسوب إلى "أبي بكر البغدادي" يعلن فيها أن "جبهة النصرة" هي امتداد لدولة العراق الإسلامية، وأعلن فيها إلغاء اسمي "جبهة النصرة" و"دولة العراق الإسلامية" تحت مسمى واحد وهو "الدولة الإسلامية في العراق والشام".

وبعد ذلك بفترة قصيرة ظهر تسجيل صوتي لـــ "أبي محمد الجولاني" يعلن فيه عن علاقته مع "دولة العراق الإسلامية"، لكنه نفى شخصيًّا أو مجلس شورى الجبهة أن يكونوا على علم بهذا الإعلان، فرفض فكرة الاندماج وأعلن مبايعة تنظيم القاعدة في أفغانستان.

وعلى الرغم من ذلك كان لتنظيم "داعش" و"جبهة النصرة" العديد من العمليات العسكرية المشتركة في بداية الأمر، إلى أن احتد الخلاف بينهما ووصل إلى القتال فيما بينهما في المنطقة الشرقية في سوريا، ولا يزال هذا القتال قائمًا إلى الآن في بعض المناطق.

أعلنت "داعش" بتاريخ 29 يونيو 2014 عن الخلافة الإسلامية ومبايعة "أبي بكر البغدادي" خليفة المسلمين، وقال الناطق الرسمي باسم الدولة "أبو محمد العدناني"، أنه تم إلغاء اسمي العراق والشام من مسمى الدولة، وأن مقاتليها أزالوا الحدود التي وصفها بالصنم، وأن الاسم الحالي سيُلغى ليحل بدلًا منه اسم "الدولة الإسلامية" فقط.

يقود التنظيم الخليفة "أبو بكر البغدادي" مع مجلس الشورى، وهو من أهم المؤسسات التابعة للتنظيم، وعلى الرغم من التطورات التي شهدها المجلس منذ إمارة "الزرقاوي" مرورًا بـــ "أبي عمر البغدادي" وصولًا إلى الزعيم الحالي "أبي بكر البغدادي"، فإن مؤسسة الشورى كانت حاضرة دومًا.

يوجد للبغدادي نائبان، "أبو مسلم التركماني" للعراق و"أبو علي الأنباري" لسوريا، و12 حاكمًا محليًّا في كل من العراق وسوريا.

يوجد للتنظيم العديد من الهيئات، مثل هيئة المالية وهيئة القيادة وهيئة الأمور العسكرية وهيئة الأمور القانونية وهيئة مساعدة وهيئة الأمن وهيئة الإعلام وغيرها، ويتمتع الإعلام بأهمية كبيرة داخل هيكلية تنظيم "داعش"، وهو من أكثر التنظيمات الإرهابية اهتمامًا بشبكة الإنترنت والمسألة الإعلامية، فقد أدرك منذ فترة مبكرة من تأسيسه الأهمية الاستثنائية للوسائط الاتصالية في إيصال رسالته السياسية ونشر أيديولوجيته السلفية الجهادية، فأصبح مفهوم "الجهاد الإلكتروني" أحد الأركان الرئيسية.

ومن أحد أبرز المؤسسات التابعة لها مؤسسة "القرقان"، وفي تقرير لصحيفة "صنداي تايمز" أن خمسة شباب برتغاليين مسئولون عن إنتاج التنظيم لأفلام الإعدام التي يتم إنتاجها..

يتبنى التنظيم أيضًا فكرة بيت المال، حيث يعد تنظيم "داعش" الأغنى في تاريخ الحركات الإرهابية الإسلامية، وقد تفوق على تنظيم "القاعدة"

المركزي والفروع الإقليمية للقاعدة، فتمكن منذ عهد "الزرقاوي" من بناء شبكات تمويل ممتدة فترة مبكرة.

تفرض "داعش" على أهالي المناطق التي تُسيطر عليها اعتناق الإسلام حسب اعتقادها وتفسيراتها للمذهب السُّني أو دفع الجزية.

العديد من التقارير كشفت أن التنظيم استعمل تهديدات القتل، والتعذيب لفرض تحويل غير المسلمين للإسلام، وعن قتل بعض الشيوخ لرفضهم إعطاء البيعة لــ"الدولة الإسلامية" المُدَّعاة.

عنف واضطهاد "داعش" موجَّه بشكل أساسي نحو الأقليات.

خلال الصراع العراقي في عام 2014، أصدرت "داعش" عشرات من أشرطة الفيديو تظهر سوء معاملة المدنيين، وكثير منهم قد استهدفوا على أساس ديني أو عرقي، وحذرت "نافي بيلاي" المفوضة السامية لحقوق الإنسان في الأمم المتحدة، من جرائم الحرب التي ارتكبت وأفادت الأمم المتحدة أنه في الأيام من 17 آيار وحتى 22 حزيران، قتل "داعش" أكثر من 1000 مدنيًا عراقيًا، وإصابة أكثر من 1000أخرين.

يوم 29 مايو 2014 داهمت "داعش" قرية في سوريا وقتلت 15 مدنيًا على الأقل، ووفقًا لمنظمة "هيومن رايتس ووتش"، فإن من بينهم ستة أطفال على الأقل، وأكد مستشفى في المنطقة أنها تلقت 15 جثة في نفس اليوم.

ووفقا لوكالة "رويترز" فإن "داعش" قتلت 1878 شخصًا في سوريا خلال الأشهر الستة الأخيرة من عام 2014، معظمهم من المدنيين.

وفي مدينة الموصل، قامت "داعش" بتطبيق مناهج دراسية في المدارس تحظر تدريس الفن والموسيقى والتاريخ الوطني والأدب والمسيحية. وقد أعلنت أن الأغاني الوطنية كفرًا، وأعطت أوامر لإزالة بعض الصور من الكتب المدرسية.

وبعد الاستيلاء على مدن عراقية أصدر "داعش" مبادئ توجيهية وتعليمات في كيفية ارتداء الملابس والحجاب، وحذر النساء في مدينة الموصل من مغبة مخالفتها، وخيرتهم بين ارتداء النقاب أو مواجهة عقوبات صارمة.

وقال رجل دين لوكالة "رويترز" في الموصل أن مُسلحي "داعش" أمروه أن يتلو التحذير في مسجده عند تجمع للمصلين، وفي مدينة الرقة تم استخدام كتيبتين من النساء في المدينة لفرض تطبيق الأوامر من قبل النساء.

وأصدر "داعش" وثيقة تحتوي على مجموعة من القواعد التي تستهدف المدنيين في محافظة نينوى، ومن بين قواعدها أن المرأة يجب أن تبقى في المنزل ولا تخرج إلى الشارع ما لم يكن ضروريًّا.

وقال بند آخر إن عقوبة السرقة تكون قطع اليد، وبالإضافة إلى العرف الإسلامي الذي يحظر بيع الخمر والكحول وتعاطيهما، فإن "داعش" حظرت بيع السجائر والشيشة واستخدامها، وحظرت أيضًا الموسيقا والأغاني في السيارات والمحلات التجارية، وأمام الملأ، وكذلك صور الأشخاص في واجهات المحال التجارية.

ووفقا لمجلة "الإيكونوميست" فإن "داعش" عين في الرقة **12** من القضاة وهم سعوديون، وتشمل مهامهم إنشاء الشرطة الدينية وفرض الحضور في الصلاة واستخدام واسع لعقوبة الإعدام، وتدمير الكنائس المسيحية والمساجد غير السنية أو تحويلها إلى استخدامات أخرى.

ولقد قامت "داعش" بتنفيذ عمليات إعدام على كل من الرجال والنساء الذين كانوا متهمين بأعمال مختلفة، وأدين بارتكاب جرائم ضد الإسلام مثل الشذوذ الجنسي، والزنا، ومشاهدة المواد الإباحية، واستخدام وحيازة الممنوعات والاغتصاب والتجديف ونبذ الإسلام والقتل.

وقبل أن يتم تنفيذ العقوبات بحق المتهمين تتم قراءة التهم الموجهة إليهم وبحضور مجموعة من المشاهدين، وأما عقوبة الإعدام فتتخذ أشكالًا مختلفة، بما في ذلك الرجم حتى الموت، والصلب وقطع الرؤوس، وحرق الناس أحياء، ورمي الناس من البنايات الشاهقة.

قام تنظيم الدولة الإسلامية بإحراق الطيار الأردني "معاذ الكساسبة" حيًّا بعدما سقطت طائرته خلال عمليات قوات التحالف ضد "داعش" قرب مدينة الرقة.

ونشر تنظيم الدولة الإسلامية شريط فيديو، تناقلته مواقع مقرّبة من جماعتها على شبكة الإنترنت يظهر عملية إحراق "الكساسبة"، وطالبت "داعش" بالإفراج عن السجينة "ساجدة الريشاوي" التي حكم عليها بالإعدام بعدما شاركت في تفجيرات عمان، عاصمة الأردن، عام 2005 في مقابل الإفراج عن "الكساسبة"، ولكن فشلت جميع عمليات التفاوض لمقايضة "الكساسبة" بالسجينة "ساجدة الريشاوي" المتورطة في عملية انتحارية استهدفت العاصمة الأردنية عمّان.

تنظيم "داعش" يجند الأطفال العراقيين في سن التاسعة إلى صفوفه حيث يمكن مشاهدتهم وهم يغطون وجوههم بالأقنعة ويحملون البنادق في أيديهم حيث تسير الدوريات في شوارع الموصل.

وفقًا لتقرير صادر عن مجلة "السياسة الخارجية" فإن أطفالًا لا تتجاوز أعمارهم الست سنوات خطفوا وأرسلوا إلى معسكرات التدريب العسكرية والدينية، حيث يتدربون على قطع الرأس على الدمى ويلقنون وجهات النظر الدينية وفقًا لأفكار "داعش".

يتم استخدام الأطفال كدروع بشرية في الخطوط الأمامية، ويستخدمون لعمليات نقل الدم منهم لمقاتلي "داعش"، كما أن الأطفال الذين تقل أعمارهم عن 15 سنة يؤخذون إلى مخيم الشريعة لمعرفة المزيد

عن الدين، في حين أن كبار السن ممن هم فوق 16 سنة يؤخذون إلى معسكر للتدريب العسكري، كما تستخدم الأطفال للدعاية.

وفقا لتقرير للأمم المتحدة في منتصف أغسطس، دخلت "داعش" مستشفى السرطان في الموصل، وأجبرت اثنين على الأقل من الأطفال المرضى على حمل علم "داعش" ونشرت الصور على شبكة الإنترنت.

هناك العديد من التقارير حول الاعتداءات الجنسية على النساء والفتيات واستعبادهم في المناطق المسيطر عليها من قبل تنظيم "داعش"، وأغلبهم من الأقلية المسيحية واليزيدية.

وفقا لتقرير واحد من قبل صحيفة "الجارديان"، فقد رافق سيطرة "داعش" على المدن العراقية في يونيو 2014، أعمال متطرفة كاستخدام النساء كرقيق للجنس والاغتصاب.

وذكرت أن جرائم المقاتلين المرتكبة تصاعدت ضد النساء، بما في ذلك الخطف والاغتصاب، وأن مقاتلي "داعش" أحرار في ممارسة الجنس أو اغتصاب النساء غير المسلمات الأسرى عندهم.

وقد أبرزت "هالة اسفندياري" من مركز "وودرو ولسون" الدولي للعلماء إساءة معاملة النساء من قبل مسلحي "داعش"، بعد أن سيطروا على المنطقة. "إن الفتيات الصغيرات يتعرضن للاغتصاب أو يتم تزويجهن للمقاتلين، وعادة ما تؤخذ النساء الأكبر سنًّا إلى سوق الرقيق مؤقتًا ومحاولة بيعهن".

مضيفة "أنها تقوم على الزواج المؤقت، ومرة واحدة قام المقاتلين بممارسة الجنس مع هؤلاء الفتيات"، وأما الناشطة في حقوق الإنسان من أصل كردي فقالت بأن "المرأة اليزيدية عوملت كالماشية في المناطق التي استولت عليها داعش، وقد يتعرضون للعنف الجسدي والجنسي بما في ذلك الاغتصاب المنهجي والعبودية الجنسية وقد عرضن في الأسواق في الموصل والرقة وهن يحملن بطاقات الأسعار"..

وفي فبراير 2015، مجموعة "الرقة تذبح بصمت" ذكرت أنه يتم استعباد المرأة، بما في ذلك استخدامهن للجنس داخل مدينة الرقة.

صدر تقرير للأمم المتحدة يوم 2 أكتوبر 2014، استنادًا إلى 500 مقابلة مع شهود عيان بأن "داعش" أخذت 450-500 من النساء والفتيات في منطقة نينوى في العراق في شهر أغسطس 2014، حيث إن 150 من الفتيات غير المتزوجات وهن في الغالب من الطائفتين اليزيدية والمسيحية، ويتم التعامل معهن، إما كمكافأة للمقاتلين التابعين لداعش، أو كمكافأة ليتم بيعها كرقيق للجنس.

وفي منتصف شهر أكتوبر، أكدت الأمم المتحدة أن 5000-7000 من النساء والأطفال اليزيديين قد تم اختطافهم من قبل "داعش"، ليباعوا في سوق النخاسة.

خلال أقل من عام على مرور إعلان ما يسمى بـــ "دولة الخلافة" أعدم "داعش" 2618 شخصًا، ومن بينهم قرابة 1500 من المدنيين و139 شخصًا ينتمون لداعش أعدمهم بتهمة الغلو والتجسس لصالح دول أجنبية

عند محاولتهم العودة إلى بلدانهم، ومن بينهم أيضًا سورين وعراقيون وعدد آخر من الجنود اللبنانيين بالإضافة إلى أكراد، واثنين من الصحفيين الأمريكيين.

أمريكي واحد، واثنان من عمال الإغاثة البريطانية وثلاثة ليبيين تم ذبحهم من قبل "داعش"، ويستخدم "داعش" قطع الرؤوس لترهيب السكان المحليين، حيث أصدر سلسلة من أشرطة الفيديو الدعائية وبث التنظيم عمليات إعدام علنية وجماعية، واحتوت بعضها على سجناء أجبروا على حفر قبورهم بأيديهم قبل إعدامهم، وكذلك أعدم عشرات المقاتلين السوريين المنتمين للمعارضة، من بينهم نحو 100 مقاتل من حركة "أحرار الشام" حاولوا مغادرة الرقة، ومئات الجنود التابعين للجيش السوري.

قامت "داعش" بتدمير مرقدي النبي "يونس" والنبي "شيت"، إضافة إلى عدد كبير من المراقد الدينية والمساجد التي يرتادها أتباع مُختلف الطوائف والكنائس المسيحية لأسباب طائفية وعقدية بحتة.

وفي يوم الخميس المصادف 2015/2/26 نشرت "داعش" فيديو يقوم فيه رجالها بتحطيم الآثار الآشورية والكلدانية الموجودة في متحف الموصل التاريخي، وقد قاموا أيضًا بتجريف مدينة النمرود الأثرية ومدينة الحضر جنوبي الموصل.

***

(15)

## الحلقة الثالِثة

- تتفِق أقوال رجال العلم مع إيمان رجال الدين بتعدُد الصِفات الإلَهية، رغم أن الله ذات واحدة، وهنا يبرز سؤال منطقي يقول، ألا يستلزِم ذلك التسليم بتعدُد الأقانيم مع وحدة الجوهر؟ ألا يرى المُفكرون أن الاعتقاد بالله وكلمته وروحه ثلاثة أقانيم في وحدة لاهوتية سَرمدية أقل إشكالًا من الاعتقاد بتعدُد الصفات مع وحدة الذات؟ فكون الله مُتكلمًا يدل على أن فيه كلمة ومُتكلمًا ومُتكلمًا معه، وكونه يسمع يدل على أن في الله مَسموعًا وسامِعًا ومُسمعًا، وكونه يُحب يدل على أن في الله محبة ومُحبًا ومَحبوبًا، فإن كان الله غنيًّا عن عبادته، فلا بُد أن تكون صفاته هذه موجودة فيه أزليًّا قبل الخليقة، وقائمة فقط بذات أقانيمه وغير مُعطلة لتنزهه عن الحاجة إلى غيره، لأنه إن قُلنا أن صفات الله عاملة وهو يتبادل التكلُم والسمع والحُب في الأزل مع كائن غيره فهذا شِرك، وإن قُلنا إن صفات الله عاطِلة فهو لا يتكلم ولا يسمع ولا يُحب في الأزل فهذا إلحاد،

لأن الله والحالة هذه يكون مُجرد سكون في عُزلة الفضاء أشبه بالصِفر في طَي العَدم، وإن كُنا ندعو الله بأسمائه الحُسنى المُتعددة الدالة على صِفات مُتعددة مُتباينة مُتغايرة مُختلفة، فكيفَ يستقيم هذا إذا لم نؤمِن بالتثليث؟ فمِن أسمائه الحُسنى القدوس والبار والحَق، ما يدل على صلاح الله المُطلَق وكراهيته للخطية، ومن أسمائه العدل والضار والمُنتقِم ما يدل على انتقامه من الخطية انتقامًا عادلًا بلا تساهل، ومن أسمائه الغافِر والعَفو والرءوف ما يدل على تبريره للمُذنب تبريرًا شامِلًا... وهُنا نسأل كيف يكون الله مُنتقِمًا وغافِرًا معًا؟! ألَم يَقُل القُرآن: ﴿أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾[1]، فمن أسمائه الحكيم والقوي والكريم، وهُنا يكون من المعقول أن حكمته اقتضت الفداء، فوقفت حكمته بين عَدله ورحمته وقُوته وجعلت التأنّس لإجراء الفِداء مُمكِنًا، وكَرَمه جَعَلَ الناسوت كفارة عن خطايا البشر، فخطية آدم الأولى صَدرَت في حق الله غير المَحدود عندما خالَف أمره، وكان لِزامًا على من يُقدِم فِداءً عنه أن يكون غير محدود، ولأن آدم إنسان وَجَبَ أن يكون الفادي إنسان، فنَزلَ الله من سماء مَجده غير المُدرَك وتجسدَ وتأنس مُتحدًا لاهوته بناسوته اتحادًا كامِلًا بغَير اختلاط ولا امتزاجٍ ولا تغيير، وصُلِبَ على خَشبة الصليب حامِلًا خطية آدم الأولى، فماتَ الناسوت وقُبِر ثلاثة أيام، ثُمَ أقامه اللاهوت بقُدرته في اليوم الثالِث، وصَعدَ إلى السموات وجلسَ عن يَمين القوة وأرسلَ روحه القُدوس على

---

[1] سورة التوبة 118.

تلاميذه في اليوم الخمسين بعد قيامته، فتباينت ألسِنَتهم ليُبشروا بالمسيحية في كل المسكونة.

انتهى القُمُص "كيرلس وهبة" من شرح قصة الفداء، فنظرَ "وليد مندور" إلى الشيخ "محمد حاتم"، وقد أثارت كلمات الأول الكثير من التساؤلات في صدره، يرى ما رواه القمص "كيرلس" صعب التصديق برغم إحكام القصة، فسأل الشيخ "محمد" وقال:

– ما رأيك يا شيخ محمد فيما قاله القُمُص كيرلس؟

أجاب الشيخ "محمد" بكلمات القرآن كعادته، وقال:

– بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾[1] صَدَقَ الله العظيم، كان موت المسيح على الصليب فتنَة كُبرى لمن شُبِهَ لَهم وقوع الصلب على ذات المسيح، أعني جميع الذينَ شَهِدوا هذا الصلب، شانئو المسيح ومُبغِضوه وطالبو دمه، وأيضًا أنصاره ومُحِبوه اللذينَ لو خُيروا لافتدوه بأنفُسِهِم وأبناءهم، فأما شانئو المسيح ومُبغِضوه وطالبو دمه، فقد أخذهم العِزة بالإثم أن قتلوا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وتباهوا بها مُستهزئين: «إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ»، وكَم قَتلَ اليهود من أنبياء العَهد القديم، ثم ختموا بيحيى

---

[1] سورة النساء 157.

عليه السلام فيما تروي الأناجيل، فما قامَت الدنيا وما قَعدت، ولم يَقُل أحد في نَبي قُتِل أنه أراد هذا القَتل وسَعى إليه وكان محور رسالته، يُكَفِر به عن خطايا البَشر أو يفتديهُم بدمه كما قِيلَ في المسيح، إنما قال أتباع النبي المَقتول أنه مات شَهيدًا دَمه على قاتِليه، فإذا كان المسيحُ هو الله الذي تَجَسَّد لفداء البشرية، فلماذا قال المسيح وهو على خَشبة الصليب جُملته المشهورة "إيلي إيلي لما شَبَقتَني" الذي تَفسيره بالعربية "إلَهي إلَهي لماذا تركتني؟[1]".. أليسَ هو الله الذي سعى إلى الموت بإرادته؟

نظرَ "وليد مندور" إلى القُمُص "كيرلس وهبة" وقد أعجبه سؤال الشيخ "محمد حاتم" الذي وصلَ بالنقاش إلى ذروته ووضع القمص "كيرلس" في موضع المُدافع وقال:

– جناب القُمُص كيرلس ما هو رَدك على سؤال الشيخ محمد؟

أجاب القُمُص "كيرلس"، وكأنه كان يتوقع سؤال الشيخ "محمد" من كثرة مناظراته معه وقال:

– السيد المسيح كانَ لاهوتًا كامِلًا مُتحدًا كاملًا بالناسوت كما قُلنا من قبل، ولكن على خَشبة الصليب وقعَت آلام الصلب كُلها على الناسوت وحده لأن اللاهوت حاشا لهُ أن يتألم، لذلك قال السيد المسيح على خَشبة الصليب "إلَهي إلَهي لماذا تركتني"، وهي مُناجاة للاهوت من

[1] (مت 27:46).

الناسوت يسأله لماذا يتركه وحده في الألم وليسَ مقصودًا بها هنا انفصال اللاهوت عن الناسوت إلا في الشعور بالألم والموت لأن اللاهوت لا يموت.

انتهى القُمُص "كيرلس" من إجابة السؤال، فبادر الشيخ "محمد" حديثه من دون انتظار سؤال "وليد مندور" له:

- بدايةً لم يَمُت المسيح على الصليب لأنه لم يُصلَب من الأساس، ولكن مَن صُلِبَ وماتَ على الصليب هو تلميذه يهوذا الإسخريوطي الذي أسلمه، فأوقع الله شبه المسيح عليه، فاعتقد الجميع أنه المسيح وصلبوه بدلًا منه، حتى أن التلاميذ الآخرين شكوا فيه كما قال الكِتاب المُقدس على لسان المسيح "كُلكم تَشكون فيّ في هذه الليلة"1... تُرى لماذا شَك التلاميذ في المسيح وفيمَ كانت شكوكهم؟! أفي نبوءته وقَد عَلِموا أن الأنبياء تُقتَل وتموت؟ وما رأس يحيى على طبق من الفضة ببعيد.. أم شكوا في ألوهيته وقَد عَلِموا أن الآلهة خالِدة لا تموت، ففيمَ الفاجعة إذن في شُبهة إله يموت؟ أما الذي لم يَشُك فيه أحد، هو أن الذي مات على الصليب لم يَكُن المسيح ولكنه يهوذا، فالشبه كان غاية في الإتقان لا يستطيعه إلا خيرُ الماكرين كقوله تعالى ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾2.

***

[1] (مر 14:27).

[2] سورة آل عُمران 54.

في أوقات اختلائه بنفسه كان "وليد مندور" يتساءل كثيرًا عن قوة اعتقاد أصحاب الديانتين السائدتين في مصر بمثل هذه الأمور اللاهوتية المعقدة، وكيف لهؤلاء الناس أن يضعون حاجزًا من الذات الإلهية بينهم وبين ممارسة الحياة ببساطة ويُسر.

يرى "وليد مندور" أن الدين ما هو إلا مجموعة من القواعد الصارمة التي تمنع الإنسان من التمتع بحياته، وبرغم أن تلك القواعد الصارمة تقيدهم، إلا أنهم يستعذبون قيودهم ويدافعون عنها مقررين أن تكون حياتهم محاطة بإطارها الجامد.

أما أكثر الأمور التي لا يفهمها، أنهم يتهمون الملحدين بأنهم متمردون وخارجون عن قانون القسوة الذي وضعوه لأنفسهم، مطالبين هؤلاء الملحدين – على حد قولهم ليس قول وليد مندور فهو يسميهم ونفسه اللادينيين – أن يثبتوا لهم عدم وجود الذات الإلهية، بينما لا يحاولون هم إثبات وجودها!

الديانات من وجهة نظره متاهات يغرق فيها الناس، فتعوق تفكيرهم وإنجازاتهم لأحلامهم وطموحاتهم، متاهات جامدة بين آلهة تنزل من السماء لتتحدى قوانين صاغتها بنفسها، فتحيا حياة البشر تأكل أكلهم وتشرب شربهم وتمارس أفعالهم الأرضية وتموت وتبعث وتحاسب البشر في النهاية!

متاهات جامدة من آلهة تصطفي بشرًا عن أمثالهم البشر، فترسلهم إليهم بنبوءات وتعاليم، على من لا يقبلها أو يتبعها أن يصطدم بعذابات النار! أما كان من الأسهل أن يولد البشر وفي داخلهم تلك التعاليم طباعًا ورثوها مع چيناتهم؟!

ولماذا يعاقب الله مخلوقاته بالحرق، وهو من خلق في داخلهم الغرائز والشهوات التي تقودهم إلى عصيان تلك التعاليم الذي خلقها هو أيضًا؟!

ترددت في عقله أبياتًا من شعر "عمر بهاء الدين الأميري" شعر أنها تناسب ما يفكر فيه، وإن كان الشاعر لا يقصد ما يعتمل في عقل "وليد".

- خَلَقت لنا الجَمال فِتنةً... وَقُلتَ لَنا يا عِبادي اتّقون

وأنتَ جَميل تُحِبُ الجَمَال... فَكَيفَ عِبادُكَ لا يَعشَقون؟!

مع تلك الكلمات التي قفزت إلى عقله، خالجه طيف تلك الفتاة الساحرة "شهوة"، التي جاءته ولا يعرف سبب مجيئها إليه، ففرت هاربة منه عندما حاول التحرش بها.

لا بد أن فتاة كتلك تقمعها قوانين التدين القاسية، فتعوقها عن التلذذ بمباهج الحياة، وإلا ما كانت لتنفر منه، بينما هي ما أتت إليه برغبتها، وكان بمقدورها أن تمتعه وتتمتع معه بنشوة اللحظات الجنسية، فتصير معشوقته التي تتتره بما كان لينفقه عليها من أموال، يرى أنها - الأموال - الإله الحقيقي الذي يتحرك العالم كله وفق أهوائها، وفي سبيل الوصول إليها والتمتع برضائها.

حتى ضيفيه اللذان يبدوان للجميع كقامات دينية عظيمة ينصتون إليهما وإلى أفكارهما، لا يحركهما سوى المال، فلو كانت تلك المناظرات التي يعقدونها بضراوة في برنامجه لا تنعش حساباهم البنكية بالأموال، ما كان أحدهم ليفكر أن يظهر معه أمام الشاشة ليتحمل غضبة من يخالفونه

في الرأي أو الاعتقاد، فضلًا عما قد تسببه لهم تلك المناظرات مشكلات تتعدى كونها فورة غضب.

التنظيمات الإرهابية ذاتها، لم تكن لتوجد مظهرة وجه التقوى والدفاع عن معتقداتها، لولا سطوة أموالها التي تمدها بالتجهيزات اللازمة لتطوره وفرض صوتها بقوة المال لا السلاح، فمن دون المال لم يكن السلاح ليوجد.

إلحاده أو كما يحب أن يسميه بلا دينيته نعمته الوحيدة، فاسم "وليد مندور" ما كان ليسطع لو أنه يخضع لتلك القوانين المتشددة التي تفرضها الأديان على حياة الإنسان.

***

# (16)

# المُجاهِد

أيامًا سعيدة عاشها "حازم راشد" مع زوجته "شيماء" التي أحبها وحاول أن يُنسيها كل ما عانته قبل أن يجمعها قدرها به.

الشيء الوحيد الذي كان يُعَكِر صَفوه هو استدعاءات الشيخ "أبي المغيرة القحطاني" المُتكررة له في أي وقت من اليوم، لإسعاف إخوانه الجرحى، ولكنه كان يعزي ذلك إلى أنه يفعل ما يفعله في سبيل الله ولسوف يُعطيه الله أجره عظيمًا.

كما أنه كان يعرف من البداية أنه ما جاء إلى ليبيا ليهرب مع زوجته فحسب، ولكن ليكون ترسًا في آلة الجهاد التي تعمل جاهدة في سبيل الله ونصرة دينه.

ذات يوم استدعاه الشيخ "أبو المغيرة القحطاني" لُمداواة بعض الجرحى وبعدما انتهى من إسعافهم، أخبره هذا الأخير أن الخليفة أمير الجماعة يَرغب في لقائه.

فرح "حازم" كثيرًا فتلك هي المرة الأولى التي سوف يُقابله فيها بعدما قدم له كل المُساعدات في زواجه من "شيماء" وإشهارها دين الحق.

جلسَ في حضرته مع الشيخ "أبي المغيرة القحطاني" والي شمال أفريقيا، كان رجُلًا مهيبًا في العقد الخامِس من عمره، أشيَب اللحية طويلها، على رأسه عمامة سوداء يتبدى الورع على مَحياه، نظر إلى وجهه، فرأى خلفه راية خلافة الدولة الإسلامية مُثبَتة إلى الحائط، فقال أمير الجماعة بنبرة هادئة:

– اسمع يا وَلَدي.. اعتدتُ مُنذُ الصِغَر ألا أُطيل في حديثي مع أحد، لذا سوف يكون كلامي معكَ مُباشِرًا، وليَشهَد الله ورسوله والشيخ أبو المغيرة أنني أبغي لك الخير كله، لقد رزقنا الله بِكَ ابنًا طَيِعًا مؤمِنًا غَيورًا على دين الله، تُقدم يَد العَون لإخوانك المُجاهدين ولا تتأخر عن مُساعدتهم والوقوف إلى جِوارهم، لذلك أسألك يا وَلَدي هل ترغب في أن يُزيد الله أجرك ويُحسِن لك الخاتمة؟

قال "حازم" بصدق ومن دون أدنى تفكير:

– بالتأكيد يا مَولانا.

واصَل الخليفة حديثه وقال:

– أنت تعلم يا وَلَدي أننا نُجاهد في سبيل الله وكل ما نُريده هو تطبيق شَرع الله وسُنة رسوله عليه أفضل الصلاة وأشرَف السلام، وفي جهادنا ضد أعداء الدين لا نتبع سوى قول الله في كتابه العزيز، قال تعالى

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2] صدق الله العظيم، فما نَفعله مع هؤلاء الكُفار هو إما أن يتوبوا إلى الله ويُشهِرون إسلامهم أو يكون جزاءهم القتل، وما أوَد أن أطلبه منك اليوم هو أن تبدأ جهادك بأمر الله وتُقاتل أعداء الإسلام مع إخوانك المُجاهدين.

ارتبك "حازم" جدًا ولم يعرف ما ينبغي عليه قوله، كان يَرغب في أن يُقاتل أعداء الإسلام ويَرد جميل الجماعة عليه ومُساعدهم له في الزواج بـــ"شيماء"، ولكنه لم يكن ليستطيع أن يقتل نفسًا بشرية خلقها الله، فقال وهو يحني رأسه معتذرًا:

– أنت تعلمُ يا مولانا أنني أُريدُ لغير المُسلمين أن يَدخلوا الإسلام أفواجًا، أو أن نقضي عليهم بأمر الله فلا يبقى سوى المؤمنين المُوحدينَ بالله، ولكن قلبي أضعف من أن أقتل نفسًا بشرية، وأنا الذي اعتدتُ مُداواة جروح الناس، أخشى أن أكونَ سببًا في إضعاف قلوب إخواني المُجاهدين بضَعف قلبي، حسبك رسول الله يا مولانا اترُكني كما أنا أُداوي جروح إخواني وأُساعدهم بما أعلم يقينًا أنني قادرٌ على فِعله.

---

[1] سورة البقرة 193

[2] سورة التوبة 5.

أومأ أمير الجماعة برأسه مُتفهمًا، وإن كان غير راضٍ تمامًا عن قراره، ولكنه قال:

- كما تُريد يا وَلَدي.. وفَقَكَ الله في جهادك.. وعل الله يــــــــ...

هنا قاطعه الشيخ "أبو المغيرة القحطاني" وقد بدت نبراته جادة قوية وقال:

- عُذرًا يا أميرنا، ولكن هُناك أمرًا آخر اتفقتُ مع باقي الإخوة عليه فأحبَبتُ أن أُطلِعُكَ والأخ حازم عليه.

أشار له الأمير بيده كَي يواصِل حديثه فاستطرد:

- يجب أن يكون لأُختنا شيماء زوجة أخينا حازم دور في الجهاد.

صَدمت عبارته سمع "حازم" الذي أطَلَت الدهشة على ملامحه فقال:

- أنت تعلم يا شيخ قحطاني أن زوجتي كانت في الأصل مسيحية، ولن يكونَ من السهل عليها أن تُشاركنا في الجهاد، كما أنها امرأة و.........

قال الشيخ "أبو المغيرة" مُقاطِعًا وكأنه لم يسمع ما قاله "حازم":

- ما نطلبه من أختنا شيماء لن يكونَ صعبًا عليها ولا على أية امرأة تهب نفسها للجهاد، كما أن ما سَتَفعله رُبما يكون تَكفيرًا لها عن حياتها السابقة في الضلال.

صمَتَ قَليلًا ثم استطرد:

- هُناك الكثير من الإخوة المُجاهدين معنا تركوا منازلهم وعائلاتهم وحياتهم القديمة لينالوا شرف الجهاد في سبيل الله، والشيطان يُحاول أن يُثبط من عزيمة المُجاهدين بضَربهم فيما للرجال من رغبة في النكاح، فما اتفقنا عليه في شأن أختنا شيماء أن تُجاهد معنا جِهاد النكاح فيتزوجها أحد إخواننا المُجاهدين ليُبعِد بها شيطانه عنه، ثم يُطلقها ليتزوجها آخر وفي النهاية بعدما تُتِم جهادها تعود فتتزوج أخينا حازم.

غَلى الدم في عروق "حازم" فنهَضَ من مكانه، وقد تملك منه الغضب، ونظرَ للشيخ "أبي المغيرة القحطاني" والشَّرَر يتطاير من عينيه، بدا الآن عكس ما قاله منذ قليل قادرًا على قتل النفس البشرية وإزهاق الروح، فقط لو كانت روح الشيخ "أبي المغيرة القحطاني"!

قال مُحتدًّا:

- أنتَ تَهذي يا شيخ قحطاني... ما هذا الذي تقوله؟!

ضَم "حازم" قَبضته ورفعها ليضرِب الشيخ "أبا المغيرة"، وقد أفلتت أعصابه كاملة ولم يستطع السيطرة على انفعالاته، لولا أنه وَجَدَ فوَهَة السلاح الناري الذي رفعه هذا الأخير في جبينه، وهو يقول بنبرة تقريرية ثابتة صارمة لا راد لها:

- الأخت شيماء سوفَ تُجاهد معنا جِهاد النِكاح سواء شِئتُما أنت وهي ذلك أو أبَيتُما.

أسعدها اسمها الجديد كثيرًا، فاسمها القديم "شهوة" تسبب لها في الكثير من الألم، أو على الأقل هو يذكرها بنظرة الرجال الدائمة لها بعين الشهوة إلى جسدها، دون أن يحاول أيهم الولوج إلى قلبها العامر بالحب.

وحده "حازم" من استطاع أن يغزو قلبها بمعسول كلماته، بعد أن تركها حبيبها "ميلاد مكين" حائرة تتخبط في ظلام الكره، بحثًا عمن يبثها حبًّا صادقًا يؤنس وحشة وحدها.

أكثر ما ضايقها في تغيير اسمها هو أنه لم يعد مناسبًا للعبارة التي أحبتها منذ أن عرفت الحب:

- أنتِ شهوتي من الحياة.

منذ زمن ليس ببعيد كانت تحلم بالعثور على حبيبها الغائب "ميلاد"، وها هي الأقدار تسوقها إلى بلاد غربته، ولكن باسم جديد وفي ظل رجل آخر، وتحت راية ديانة أخرى، غير تلك التي يعتنقها حبيبها الضال!

ترى هل سخرية القدر التي سمعت عنها كثيرًا هي التي ساقتها إلى مصيرها الحالي المجهول بالنسبة لها؟! أم أن قدرها الذي كان دائمًا يقسو عليها، قرر أخيرًا أن يرِق لها ويمنحها فرصة جديدة لحياة أخرى؟!

وماذا لو أنها التقت بحبيبها "ميلاد" الآن بعد أن أصبحت تعتنق ديانة أخرى وتزوجت برجل آخر؟! هل تتبعه وتترك ديانتها الجديدة ورجلها الجديد؟!، أم تودعه للمرة الثانية بإرادتها على عكس مرتها الأولى؟!، ولو أنها تبعته وباعت حبيبها الجديد عائدة إلى قصة حبها الأولى، مبررة ذلك

لنفسها أن حبها لحازم لم يكن حبًا صادقًا، بل تعلقًا زائفًا حدث في وقت كانت تحتاج فيه إلى حنان الحب وإحساس الأمان في ظل رجل، ماذا عن اعتناقها لديانة أخرى؟!، كيف تبرره ولماذا تبرره من الأساس؟!

ولماذا تفكر في نفسها أن الاختيار وقتها سوف يكون بيدها؟!، فمن المحتمل أن يرفض "ميلاد" الارتباط بها بعدما تزوجت آخر على غير دينها القديم واتبعت ديانته!

- ماذا حل بكِ يا شهو.. يا شيماء ولماذا تضطرب أفكارك بهذا الشكل؟!

قالت لنفسها، ولكنها برغم ذلك لم تستطع أن توقف عمل عقلها الغارق في التفكير، فكان يشغلها ما يمكن أن يكون قد حَل بوالدها المسكين "فايز" بعد أن فرت ابنته تاركة إياها يحمل عارها، لا بد أن زوجته سليطة اللسان "عفاف" ألهبته بكلماتها الجارحة بما تسببت فيه ابنته من فضيحة اجتاحت كيان العائلة الصعيدية.

أفكارها كانت عائقها في التمتع بحياتها الجديدة، التي قررت أن تحياها بإرادتها وحدها، ولكنها في النهاية تعبت من كثرة التفكير وحاولت أن تطرد أفكارها بعيدًا عن رأسها.. يكفي اليوم شره!

***

# (17)

# الحلقة الرابعة

- تَحدثنا في الحلقات السابِقة عن بعض الخلافات بين المسيحية والإسلام وعرفنا كيف يرى المسيحيون أن المسيح هو الله الظاهِر في الجسد لفداء العالم، وكيف يرى المُسلمون أنه رسول من الله، ولكن كيف تَنظُر كلتا الديانتين إلى نَبي الإسلام؟. ما رأيك يا شيخ محمد؟

سُلِطَت عَدسة الكاميرا على وجه الشيخ "محمد حاتم" الذي أجاب عن سؤال "وليد مندور" على الفور وقال:

- رَسول الله محمد عليه أفضل الصلاة وأشرف السلام هو خاتم أنبياء الله وأشرَف خَلقه، الذي نَزل عليه جبريل بقُرآن الله الكريم في غار حِراء، أما المسيحيون فهُم يرونه إنسانًا عاديًا لا نبوءة له ولا رسالة، لأن نبوءته تَنفي زَعمهم في ألوهية المسيح عليه السلام، والمسيحية قَبل أن يقوم المسيحيون بتحريف الكتاب المُقدس كانت تُبشر بنَبيَنا كقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا

لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[1] صَدَقَ الله العظيم، وهو ذاته ما أقره برنابا في إنجيله الذي لا يعترف به النصارى، ولكن حتى من دون الحاجة لإنجيل برنابا، فإن الإنجيل المُعتَرَف به يَشهَد لنبي الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام فيقول على لسان السيد المسيح، "إن لي أُمورًا كَثيرة أيضًا أقولُ لكُم ولكن لا تستطيعون أن تَتحملوا الآن، وأما مَتى جاء روح الحَق فهوَ يُرشدَكُم إلى الحَق لأنهُ لا يَتَكَلم من نَفسه، بل كُل ما يَسمَع يَتَكَلَم به ويُخبركم بأمورٍ آتية"[2]، ولقد استدَلَ عُلماء المُسلمين أن كلمة "فارقليط" التي ذُكِرَت في الآية وترجمها المسيحيون من اليونانية بمعنى "روح الحق" أو "المُعَزي" تعني بالأساس "أحمد"، وهو اسم من أسماء خاتم النَبيين الذي بَشَّر به عيسى عليه السلام قومه في القُرآن.

كالعادة أدار "وليد مندور" دفة الحديث إلى طرف الحوار الثاني، فسأل عن رَد القُمُص "كيرلس" على ما قاله الشيخ "محمد" فسعل الأخير وأجابَ قائلًا:

– الآية التي ذَكرَها الشيخ محمد، قالها المسيح لتلاميذه بعد قيامته من الأموات وقَبل صعوده إلى السَموات، وكان يُبَشِّر التلاميذ فيها بحلول الروح القُدس الذي غَير ألسِنَتهم ليُبَشِّروا بالمسيحية في أرجاء الأرض، فكيفَ يُحاوِل الشيخ محمد إثبات نبوءة نَبي الإسلام مِن جُملة قالها المسيح بعد موته وقيامته، بينما لا يعترف هو بمسألة الصلب من الأساس؟! ثانيًا

[1] سورة الصَف 6.
[2] (يو 16 : 12–13).

يُحاول الشيخ محمد أن يُصوِر لنا أن الكتاب المُسَمى زورًا إنجيل برنابا، هو الإنجيل الصحيح وهذا ليسَ حقيقيًا، ولكِني أود أن أُشير إلى وجود شَخص حقيقي اسمه برنابا تَم ذكره في الكتاب المُقَدس، ولكنه لَم يَكُن من تلاميذ السيد المسيح، كما لم يَكُن من سُكان فلسطين اللذينَ شاهَدوا أعمال السيد المسيح وسَمعوا تعاليمه، كان يَهوديًا من سُكان جزيرة قُبرُص سَمع الإنجيل بعد صعود السيد المسيح إلى السماء بنحو تسع سنوات، فآمَن به مثل الكثيرين من اليهود[1]، ولَم يكتب برنابا هذا إنجيلًا، فهوَ لم يَكُن من الاثني عشر الذين اختارهُم السيد المسيح تلاميذاً له، كما لم يَكُن واحدًا من الرُسُل السَّبعين الذين عَينهُم السيد المسيح، وإنجيله المَزعوم هذا كان مَكتوبًا باللُغة الإيطالية لا كباقي الأناجيل، ولقد ظَهرَ في أول الأمر سنة 1709م، أي بعد ظهور الإسلام وكانَ نوع الوَرَق المُستَخدَم إيطاليًا مُمَيَزًا والحبر المُستَخدَم لم يَكُن مَعروفًا قبل النصف الثاني من القَرن السادِس عَشر، كما أن الرسم الذي كانَ مَوجودًا على غلاف النسخة من طِراز عَرَبي ونوع الخط المُستَخدَم إيطالي يَرجِع إلى القرن السادس عَشر، أما عَن مسألة الشهادة لنَبي الإسلام والاختلاف حول كلمة "المُعَزي" وكلمة "أحمد"، أن الكلمة اليونانية هي باركليتس "Parakletos" ومعناها "المُعَزي" أما الكلمة التي ذَكرها الشيخ محمد فهي بيركليتس "Periklitos" وهي تَعني "المحمود" أو "المشهور"، وواضِح أن الفرق بين الكلمتين مُختلف كما أن المَعنى أيضًا مُختلف.

***

---

[1] (أع 4 : 36-37).



شهوة

# (18)

# صَلاة

الشخص الوحيد الذي شَعرت معه بالأمان ولم يُحاول إيذاءها يومًا، باعها في النهاية بلا ثَمن فريسةً سَهلة تَنهشها الضواري.

يتناوَب عليها رِجال طَويلو اللحى، يَدّعون الوَرَع والتقوى، وفي الحين نفسه لا يتوَرعون عن إيذائِها وذَبحها، فَيسلِبونَ إنسانيتها باغتصابِها من دون أن تَملِك حق الرفض أو حتى مجرد الاعتراض!

أقسى ما كان يُعذِبها أنهُم كانوا يفعلون ما يَفعلون من دون أدنى إحساس بالذَنب، فلا يمنع من يحين وقته لنهب خيرات جسدها التعب البادي على جسدها ولا الرفض الصارخ في ملامح وجهها الساخط.

يُحَللون الحرام بوَرقة تُذَيلها بتوقيعها رغمًا عنها، فَتُصبِح مِلكًا لأحدهم يَطلب حقه الشَرعي في اغتصابها، يتناوب عليها مرة ومرتين وثلاثًا حتى تفرغ طاقته ويهدأ شبقه، ثُمَ يُلقي بها مع يَمين الطلاق إلى أحضان من يَفعل ذات الأمر، مُدَعينَ أن ما يَفعلونه جهادٌ في سبيل الله، يُغنيهم عن ارتكاب

المعاصي ويُقَربهم إلى جَنَة الخُلد!، أوليس ما يفعلونه معها أقصى درجات الخطايا والمعاصي التي يدعون أهم يتترهون عنها ويحاربون من يفعلونها؟!

يُسيئونَ للإسلام بانتسابهم إليه، ويُسيئونَ للكون بوجودَهم فيه، ويُسيئونَ إليها بسلبها حُريَتها وحقها في أن تُقَرِر ما تُريد وما لا تُريد!

رَفَعَت عينَيها إلى السماء تَبكي بحُرقة، فَتَسقُط العَبرات الساخِنة على وَجنَتَيها تبللهما وكأهما تغسل وحل الآثام التي أغرقت حياهَا، بينما يَهتَز الفِراش من تحتها ويَعلو خوار طويل اللحية من فوقها، تُناجي رَبها في صَمت:

- يا الله يا خالِق السماء والأرض.. يا مَن لا يُحدكَ مكانٌ ولا زمان ولا يَحويكَ كتابٌ بَينَ دَفَتيه، انظُر إلى ضَعفي وذُلي ونَجني مما أنا فيه من عذاب، أنتَ قُلت في كِتابِكَ السمائي، هل تَنسى المرأة رَضيعها فلا تَرحَم ابن بَطنها حتى هؤلاء يَنسين وأنا لا أنساكُم[1] وقُلت أيضًا مَن يَمسَكُم يَمسُ حَدَقَة عَيني[2]، رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا[3].

***

[1] (أش 49: 15).

[2] (زك 2 :8).

[3] سورة البقرة 286.

لم يَكُن بمَقدور "حازم" أن يَرى زَوجته التي أحبها وترك من أجلها أهله وحياته الأولى، فتركَت أهلها وحياتها الأولى من أجله، تتنقَل من فِراش إلى فِراش وهو مَكتوف اليَدَين غير قادِر على فِعل شيء.

أي إهانة تلك التي تصيب الرجل عندما يشك في خيانة زوجته له، فما باله وهو يعلم جيدًا أن زوجته يتم اغتصابها من مجموعة الرجال الذين يناديهم إخوانه في الجهاد!

أعمى الكُره قلبه وشعرَ في داخله أنه يَوَد لو يَبقى بعيدًا حتى تعودَ له زَوجته، تلاطَمت أمواج الفِكر في رأسه، «ماذا بعد أن تعود له زَوجته؟! هل تَبقى على سابِق عَهدها في حُبه وهو الذي لَم يَستَطِع فِعل شيء بينما يَعبَث الرجال بِجسدِها؟! هل تفهم هي ما يراهُ الآخرون في مسألة الجِهاد بجسدِها لإشباع شَهوات المُجاهدين؟! لن تَفهَم بالتأكيد.. هو نَفسه لا يَفهم ولا يُصَدق ولكنه أضعَف مِن أن يَعترِف بذلك! أضعَف مِن أن يَرفُض! أضعف من أن يقوم بحمايتها فضلًا عن حماية نفسه!».

شعرَ بالدِماء تَغلي في عروقه، ووَدَّ لو يَقتُل الشيخ "أبو المغيرة القحطاني" الذي أذله وأجبره على ما لا يَقبله أو يَعقله، هو الذي سَلَبه زَوجَته ورجولته وشجاعته عندما رَفعَ في وَجهه فوَهة سِلاحه الناري مُهَددًا مُتوَعدًا.

هو من أصدر حكمه بإعدامه واضعًا عنقه تحت نصل الإهانة والذل، فماتت رجولته ذليلة خاضعة، كما وضع رقبة زوجته الحبيبة تحت مقصلة شهوات الرجال طويلي اللحى، فذبحوها بأعضائهم الذكورية اللعينة!

فَكر في نَفسه أنه إذا لَم يَكُن بمَقدوره أن يَنتَقِم لشَرفه من الشيخ "أبي المغيرة"، فلماذا لا يُوَجِه انتقامه إلى أعداء الإسلام الكُفار؟! عل قتلهم يخمد بركان غضبه الثائر الذي يبتغي إبادة البشر جميعهم!

ربما أصدر الشيخ "أبو المغيرة القحطاني" قراره بوضع "حازم" في ذلك الوضع المخزي، ليحثه على الجهاد والقتل، بإثارة رجولته المهدرة كرامتها، وها هو قد نجح في ذلك.

أعرب "حازم" للأمير الخليفة عن رغبته في قِتال أعداء الإسلام ورَغبته في الابتعاد قليلًا عن روتينية عمله البسيط والترقي في جهاده، عل الله يهبه الصبر فيما أصاب قلبه من عطب.

تفهم الأمير الخليفة الأمر وطمأنه بأن زَوجَته سوفَ تَعود له بعدما تُنهي ما بدأته، وأنه خيرًا فَعل حينما قَرر الجِهاد العملي بقتال أعداء الإسلام، حتى لا يتملك الكُره من قلبه فَيُبغِض إخوانه المُجاهدين.

***

# (19)

# الحلقة الخامسة

- الكِتاب المُقَدس كِتاب مُنزّل من الله على عيسى عليه السلام، ولكن ما أصابه من تحريف مقصود وتَزييف للحقائق هو ما جعل الأمور تَختلط على المَسيحيين، وكِتابنا الكريم يُصَدق على ما أُنزِل إليهم قبل أن يقوموا بتحريفه وحَذف شهادَته لنَبينا الكَريم عليه أفضل الصلاة وأشرف السلام، فيقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[1] صَدَقَ اللهُ العَظيم، فالقُرآن يَدعوهم أن يَستقيموا على التوراة والإنجيل وعلى ما أُنزِلَ إليهم من رَبهم، أي القُرآن الذي جاءَ به محمد عليه الصلام والسلام ودعاهم إليه، بدليل قَوله عَقب هذا مُباشرةً: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[2]، فما أُنزِلَ إليهم من رَبهم

[1] سورة المائدة 68.

[2] سورة المادة 68.

بخلاف التوراة والإنجيل هو هذا القُرآن الذي دُعوا إليه، ولقد كُتِبَت الأناجيل الأربعة على مدى فترة زمنية تُقدَر بأكثر من **60** عامًا، والأخطر من هذا أن أقدمها لم يُكتَب في حياة المسيح ولا عَقب رَفعه مُباشرةً، أو حتى بعد ذلك ببضع سنين، لكنه كُتِب بعد **35** عامًا مَضَت مُنذُ رَفع المسيح، ويَرجِع سَبب تأخُر كِتابة إلى أن المسيحيين الأوائِل لَم يَكونوا طائفةً مُثقفة أو مُتعَلمة، وهذا نَجده في قَول بولس "لَيسَ كَثيرون حُكَماء حَسب الجَسَد، لَيسَ كَثيرون شُرَفاء بَل اختار الله جُهال العالم ليُخزي الحُكماء"1 وأن أقدَم إنجيل وهو إنجيل مُرقس يُرينا أي لُغة إغريقية خَشنة كُتبَ بها هذا الإنجيل، يُضاف إلى هذا أنه بالنِسبة للفترة الأولى من عملية التبشير بالإنجيل في فلسطين، فقَد كانت العادة هي نَقل التعاليم الدينية شفاهَةً، كما أن التكاليف الباهِظة والمواد اللازِمة للكتابة كانت عامِلًا أساسيًّا في تأخُر الأناجيل، فغالبية المسيحيين الأوائل كانوا من المُعدِمين، وثِمَة عامل آخر كان له أثره الفعال في عملية إنتاج روايات مكتوبة عن حياة السيد المسيح وتعاليمه، ألا وهي تَفَشي فِكرة المَجيء الثاني، أي عودة المسيح ثانيةً إلى الأرض في مَجده، وأخيرًا فقد كانت هُناك صعوبة في جَمع البيانات والمعلومات اللازِمة للكتابة، إذ يَحِقُ لنا أن نسأل: كيف يَجد المسيحي العادي في الفترة المُبكرة من حياة الكنيسة التي اتسمَت بالاضطهاد والاضطراب من الوقت ما يُمكنه من جَمع المعلومات عن حياة المسيح، بيد أنه بمرور الزمن ظَهرت الحاجة إلى السِجلات المَكتوبة، وذلك

---

[1] (كو 1 : 16).

بَعد موت أولئكَ الذينَ كانوا مُعاينين وخُدامًا للمسيح، وبعد أن انتشرت الكنيسة خارج حدود فلسطين، بَل قَد حَدث في داخِل فلسطين ذاتها أن تشتت الكنيسة أكثر من مرة نتيجة للاضطهاد الذي لاقَته، وكان تَدوين الأناجيل من نصيب الجيل الثاني من المسيحيين، وهكذا بدأت كِتابة الأناجيل بعد عشرات السنين من رحيل صاحِب الدعوة وقَتل وتَشريد أغلب تلاميذه ومُريديه وسط أجواء تُغلفها الكآبة ويَسودها الاضطراب، أما ما حَدث في العصور الوسطى، عصور الظلام الفِكري وسيادة الكنيسة وتسَلُّطها، مَنَعت الكنيسة الشعب من الاطلاع على الكِتاب المُقَدس، وقَصرَت مَعرفته على الآباء الكَهنة فقط، لدرجة أنهم جاؤوا بالنسخة الأصلية بعد ربطها بسلاسل من حديد وطَرحوها في أعماق المُحيط، حتى لا تكون في مُتناول أحد، وبذلك اختفت وضاعت وما بين أيديهم اليوم هو تأليف وتزوير.

انتهى الشيخ "محمد حاتم" من حديثه المفصل عن كتابة الأناجيل، فساد الصَمت لبُرهة قبل أن يسأل "وليد مندور" القُمُص "كيرلس وهبة" عن رَده لما قاله الأول، فقام هذا الأخير بترتيب أوراقه وانبرى يقدم حججه ويقول:

- يَجدُر بنا أن نَذكُر أن متاحِف العالم تَضم بين جوانِبها نُسخًا قديمة جدًا من الكِتاب المُقَدس ترجِع للعصور الأولى، ويستطيع أي إنسان أن يرى هذه النسَخ التي تَمَت دراستها علميًا وأكاديميًا، ويُقارِن بينها وبين النسَخ التي بين أيدينا ويرى بنفسه أنها مُتطابِقة تمامًا وليسَ هُناك أدنى اختلاف، إنها لحُجة قوية تَرُد على من يَدَعي بأن الكِتاب المُقَدس قَد حَدث

به تحريف، فكيف يُحَرَّف هذا الإنجيل وكُل مخطوطاته قد تعرضَت للفَحص الدقيق والبحث العلمي، وهو ما يُسَمى بعِلم "الببليوغرافيا" أو "ثبوت المراجِع" أو "نَقد النَص"، وهو عِلم مُعتَرف به في الجامعات، استخدم لبحث كتابات الأقدمين، وهذا العِلم يَبحَث في صِحة المكتوب ونسبه إلى الكاتب، فمثلًا كِتابات العُلماء المشهورين أمثال أفلاطون وأرسطو وهيرودوت، نَملك من المخطوطات المَنسوبة إليهم العدد القليل، فأرسطو له 7 وأفلاطون 8 وهيرودوت له 48، ويَرجِع تاريخ نسخها من زَمن كِتابتها 1400، 1300، 1200سنة، وهذا العِلم يَقول إنه كُلما قَرب زمن النَسخ لزمن الكِتابة، كُلما كانت المخطوطة صحيحة، ونحن نعتمد في جامعاتنا على هذه المخطوطات القليلة البعيدة عن زمن كُتابها، ونُقِرُ ونعترف أنها أفلاطونيات أو كِتابات أرسطو وهيرودوت، وتُدَرس في الجامعات ولا يَعتَرينا أي شَك أو شبه تَحريف فيها، فإذا ما عَرَضنا الإنجيل لمِثل هذا العِلم وبَحَثنا في مَخطوطاته لوَجَدنا الآتي، مخطوطة مِثل "جون ريلاند" تَحتَوي على إنجيل يوحنا مَكتوبة سنة 130م، ونحن نَعرف أن إنجيل يوحنا كُتِب نحو سنة 93 م، وهذا يَعني أن المخطوطة يَبعُد زَمنها عن كاتبها البَشير يوحنا ما بين 30-50 سنة فقط، وقَد نَشرَت جَريدة الأهرام سنة 1991م أنه عُثر على مخطوطة إنجيل مَتى في الأُقصُر يَرجِع تاريخ كِتابتها إلى سنة 60م، والمَعروف أن إنجيل مَتى كُتِب سنة 45م، وهذا يَعني أنه خِلال 15 سنة فقط وَصَلَت نُسخة من إنجيل مَتى من مَوطِنها الأصلي في آسيا إلى الأُقصُر وهو زَمن قياسي، مما يَدُل على الانتشار السريع والمُذهِل للإنجيل في أرجاء العالم المَعروف في ذلك الوَقت،

وكلمة مَخطوطة تَعني كل ما خُطَ باليد، فَفي القَديم لَم تَكُن الطباعة معروفة، وكل ما كان يُكتَب كان يُكتَب باليَد على جلود الحيوانات أو وَرَق البَردي أو الأحجار أو عِظام كتف الحيوانات، وكلها مواد تَفنى وتبلى، لذلك يَلزَم دائمًا إعادة كِتابة كُل ما يُقارب على الفناء منها بجديد يُسمى مَخطوطة تَخضَع لشروط واحتياطات ونُظُم صارِمة في كِتابتها، ومِن هذه النسَخ المكتوبة على الرقوق والبَردي ما يَلي، النُسخة الفاتيكانية خُطَت سنة 328 بأمر الملك قُسطَنطين وهي مَحفوظة الآن بمكتبة الفاتيكان بروما، وجَدير بالذِكر أن هذه النسخة كُتِبَت في مصر وتَضَمنت العهدين القديم والجديد باللُغة اليونانية، والنُسخة الإسكندرية وقد خُطَت في القرن الخامس الميلادي وظَلَت في حَوزَة بطارِكة الإسكندرية حتى عام 1828م، حَيثُ أهداها البطريرك لوكاس الكريدي إلى ملك بريطانيا شارل الأول وهي الآن محفوظة في المتحف البريطاني بإنجلترا، والنسخة السينائية وقد خُطت في أواخر القرن الرابع على رِقوق مُرهفة من أربعة أعمدة للصفحة الواحدة، وقد عَثَرَ عليها العالِم تشندروف في دير سانت كاترين عند سفح جبل سيناء، وهي الآن موجودة في المتحف البريطاني، كذلك فقد عَثر رجال جامعة الإسكندرية في عام 1950م على كَشف أثري هام وخَطير، حَيثُ عَثروا في أثناء قِيامهم بالبحث في المخطوطات القديمة بدير سانت كاترين على أقدم تَرجمة يونانية للإنجيل وهي مكتوبة على وَرَق من جِلد الغزال وهي تَسبِق القرن الرابع، كما عَثروا أيضًا على نُسخة أُخرى وهي أقدم ترجمة للإنجيل باللُغة السريانية ونُسخة أُخرى تَرجِع إلى عَهد ظهور الإسلام وهي أقدم ترجمة عربية للتوراة عُرِفَت في

التاريخ حتى الآن، وقد أشارت إليها جَريدة الأهرام الصادرة في 1966/7/6م في حديثها عن احتفال جامعة الإسكندرية بمرور 1400 سنة على إنشاء دير سانت كاترين، والنسخة الأفرامية وهي نُسخة قديمة جدًا ومحفوظة في باريس بالمكتبة السلطانية.. نُسخة بيزي وتَرجِع إلى القرن الخامس أو السادس الميلادي وتَشمَل الأناجيل الأربعة وسِفر أعمال الرسُل وجُزءًا من رسالة يوحنا الأولى وقَد كُتِبَت باللغتين اليونانية واللاتينية وهي محفوظة الآن في كمبردج بإنجلترا.. نُسخة واشِنطن وتَرجع إلى القرن الرابع أو الخامس الميلادي وهي تَشمَل الأناجيل وهي مَحفوظة الآن في واشِنطن بالولايات المُتحدة..

بَردية ناش وترجِع إلى القرن الثاني الميلادي وتحتوي على نص ليتورجي للوصايا العَشر وجانِب من الشما (خر2:2-3)، (تث6:5-7،4:6-5) والشَما أو التِلاوة هي قانون إيمان بَني إسرائيل حَصل عليها ناش في مصر عام 1902م..

مخطوطات جنيزة القاهرة التي وُجِدَت بمَجمع بِن عذرا بمصر القديمة سنة1890م، والمَبني على كنيسة اشتروها من الأقباط سنة 882م، وكانت تُعرَف بكنيسة الملاك ميخائيل وكانت تُعتَبر جُزءًا من الكنيسة المُعلقة وتضم حوالي 10000 مخطوطة وقصاصة لأسفار العهد القديم وتَرجع إلى القرنين السادِس والتاسِع الميلاديين..

مخطوطة جون ريلاندز 52 وقد اكتُشفَت في صحراء الفيوم بمصر سنة 1935م، وترجع لما بين سنة 117و135م ويؤرخها مُعظم العلماء بسَنَة 125م وتحتوي على (يوحنا18:31-33،37-38) ومحفوظة بمكتبة جون ريلاندز بمانشستر بإنجلترا وتعتَبر أقدم شاهد للعَهد الجديد، وهذه المخطوطات أبطَلَت زَعم النُقاد بأن إنجيل يوحنا لم يُكتَب قبل سنة 160م.. المخطوطة الكلارومونتانية وتَضُم رسائِل بولس الرسول الأربعة عَشر كاملة وتَرجِع لسنة 550 ميلادية، وهي من مخطوطات الفئة الثانية التي تُمثل النَص الأصلي بدرجة كبيرة ومحفوظة في المكتبة القومية بباريس.. لفائف البحر الميت أو وادي القمران، ففي مَطلع عام 1947م عَثر العُلماء في وادي القمران بشَرق الأردُن على مخطوطات قديمة تحدثت عنها الصُحُف القومية وهي عبارة عن اثني عشر دُرجًا من أدراج الكتاب المُقَدس تَرجِع إلى القرون الثلاثة الأولى قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي "250ق.م-100م" ويرى العُلَماء أن لفة سِفر اللاويين والخروج وصموئيل ترجع إلى عام 250ق.م، ويرى أحد العُلماء أن هُناك لَفة لسِفر اللاويين تعود إلى عام 400ق.م، وهي بذلك قريبة جدًا من عَصر عِزرا ونَحَميا وحِجي وزَكريا وملاخي، وتَضم هذه اللفائف 15 مخطوطة لسِفر التكوين و5 للخروج و8 للاويين و6 للعدد و25 للتثنية و2 ليَشوع و3 للقُضاة و4 لراعوث و4 لصموئيل الأول والثاني و4 للملوك الأول والثاني ولأخبار الأيام الأول والثاني وواحدة لسِفر عزرا ونَحَميا و4 لأيوب و27 للمزامير و2 للأمثال و2 للجامعة و4 لنشيد الأنشاد و18 لإشعياء و4 لأرميا و4 للمراثي و6 لحزقيال و8 لدانيال و8 للأنبياء الصغار، ومُنذُ

ذلك الحين وما زال العُلماء يكتشفون في هذا المكان آلاف المخطوطات، ومن بين اللفائِف المُكتَشَفة أجزاء من كل أسفار العهد القديم، ماعدا سِفر إستير، وقَد وُجِدَ سِفر إشعياء بأكمله تقريبًا، ووُجِدَ كتاب يَتَكلم عن نظام الجماعة التي كانت تَسكُن هذه البُقعة، وهي جماعة الآسينيين، هذا إلى جانب بعض الأشعار الدينية، ويُعتَبَر هذا الاكتشاف أقدم ما وَصَلنا من العهد القديم، وهي تُطابِق تمامًا النصوص الموجودة حاليًا بالكتاب المُقَدس.

***

## (20)

# رسالة موقعة بالدماء

بعد أن قضى مدة تأهيله، ليكون أحد مُقاتلي "داعش" الأشداء، حان وقت جهاده الفعلي في أول عملية يقوم بها، وقد كان ينتظرها بشغف حتى يتمكن من إخراج طاقة الكُره الكامِنة في صدره، والتي لم تستطع تدريباته برغم قسوها، أن تخمد لهبها.

على أحد سواحل ولاية طرابلس، خلف فندق "المهاري"، وقف "حازم" مع إخوانه المجاهدين في انتظار حضور باقي الإخوة المكلفين بالإشراف على أداء مهمتهم بصورةٍ استعراضية، تبث الخوف إلى قلوب كل أعداء الإسلام.

حضر إلى المكان أمير ديوان الهجرة والحدود "هاشم أبو سدرة"، فاكتمل عددهم، وبدأ الجميع في تنفيذ المهمة الرهيبة.

كانت الطقوس الجنائزية قد بدأت، بل تكاد أن تُصبح إصدارًا مرئيًّا سوف يُرهب العالم بأكمله.

سار "حازم" في طابور الإخوة العشرين بزيهم الأسود الموحد، الذي يعكس سواد قلوبهم، واضعين خناجرهم في أجنابهم اليُمنى، يتوسطهم قائدهم "أبو عامر الجزراوي" والي طرابلس، يرتدي زيًا مُموهًا مُختلفًا غما يرتديه الجميع، يُشبه ذلك الزي الذي كان مُسلحي "داعش" يرتدونه خلال إعدام الطيار الأردني "مُعاذ الكساسبة".

يقتاد كل منهم رهينته الموثق الذراعين خلف ظهره لا حول له ولا قوة، لا يملك أيهم من أمره شيئًا، عشرون شخصًا من الأقباط المصريين العاملين في ليبيا بحثًا عن لقمة عيشهم، التي لم يجدوها في بلدهم، وواحد من أقباط إفريقيا، كانوا يرتدون الزي البرتقالي المُميز لمن صدر حكم الإعدام الداعشي ضده.

كان المكان أشبه بالمسرح المُعد مُسبقًا لأداء إحدى مسرحيات "داعش" التي لا تنقطع، فبالمكان قضيبان فوقهما سكة متحركة عليها مقعد يجلس فوقه "محمد تويعب" أمير ديوان الإعلام، وأمامه كاميرا وذراع طويلة متحركة، في نهايتها كاميرا يتحكم بها "أبو عبد الله التشادي" السعودي الجنسية، وهو جالس على مقعد آخر.

هذا بالإضافة إلى العديد من الكاميرات الأخرى المُثبتة على الشاطئ، فيما كان "أبو مُعاذ التكريتي"1، هو المخرج والمشرف على كل حركة في المكان، فهو من يُعطي الإذن بالتحرك أو التوقف للجميع، فقد أوقف

---

[1] والي شمال إفريقيا بعد مقتل أبي المغيرة القحطاني.

الحركة أكثر من مرة لإعطاء توجيهات خاصة لـــــ "أبو عامر الجزراوي"، ليعيد الكلام أو النظر باتجاه إحدى الكاميرات.

وقد توقف التصوير في إحدى المرات، عندما حاول أحد الضحايا المقاومة، فتوجه إليه "تويعب" وقام بضربه، أما بقية الضحايا فقد كانوا مُستسلمين بشكلٍ تام.

رأى "حازم" من خلف قناعه الأسود الذي لا يُظهر سوى عينيه، الشيخ "أبو المغيرة القحطاني" وهو واقف خلف إحدى آلات التصوير، فاتقد غضب قلبه وتأججت حمم الكره في داخله، فأمسك بمقبض خنجره بقوة وهو يكز على أسنانه، حتى كاد أن يسحقها!

– الحمد لله القوي المتين والصلاة والسلام على من بُعِثَ بالسيف رحمةً للعالمين.

يقول "أبو عامر الجزراوي" باللغة الإنجليزية، وهو يلوح بخنجره أمام عدسة آلة التصوير المُتعطشة إلى إرواء نظراتها النهمة بدماء هؤلاء الأقباط الكفار.

آه لو كان بإمكان "حازم" أن يضيف إلى دماء هؤلاء الأقباط النجسة، دماء "أبو المغيرة القحطاني"، الذي دَنَّس طهارة زوجته ببضع كلمات آمرة من لسانه المُستوجب بتره وإلقاؤه إلى النار الآكلة لتلتهمه!

– أيها الناس لقد رأيتمونا على تلال الشام وسهل دابق، نحز رؤوسًا لطالما حملت وهم الصليب وقد تشربت الحقد على الإسلام والمسلمين.

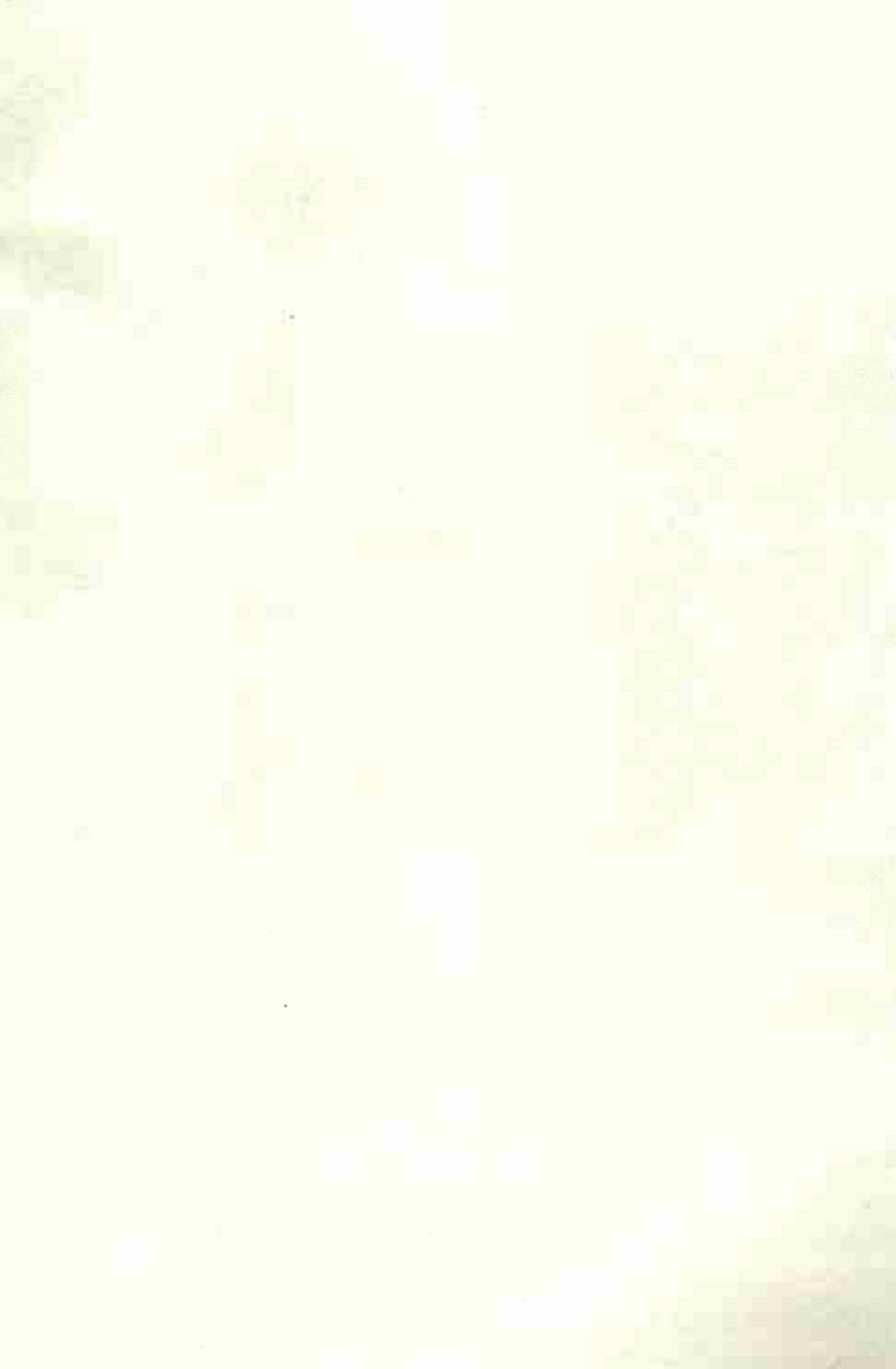
يقول "أبو عامر" ملوحًا بخنجره وقد امتلأ قلبه بالحماسة والتعطش للدماء، فكان عقل "حازم" المهموم يخبره أن هؤلاء الأقباط ممن يحملون وهم الصليب في عقولهم وقد تشربت الحقد على الإسلام والمسلمين، ليسوا أكثر كفرًا وشِركًا من إخوانه المسلمون الذين حسدوا فرحته بحياته الجديدة، وأظلمت قلوبهم بما ملأها من حقد، وكان أولهم قلب "أبي المغيرة القحطاني" الذي حرمه بهجة حياته الجديدة مع محبوبته الغالية.

– واليوم نحن في جنوب روما.. في أرض الإسلام ليبيا.. نرسل رسالة أخرى.. أيها الصليبيون.. إن الأمان لكم أماني.

«إن الأمان لكم أماني».. لا يعرف "حازم" لماذا راحت عبارة "الجزراوي" الأخيرة تتردد في عقله وكأنها موجهة إليه ومحبوبته؟! ففي وطنهما مصر الذي باعته محبوبته من أجله وباعه هو من أجلها، لم يعثرا على الأمان الذي تمنياه، ففرا بحثًا عنه بين أحضان إخوته المجاهدين، الذين أقروا أن الأمان بالنسبة لهما مجرد أماني يستحيل تحقيقها، فألقوا به في بئر الدماء التي لا تجِف، بينما استقبلوا محبوبته بين أحضانهم يتناوبون على اغتصابها!

– لا سيما وأنكم تقاتلوننا كافةً، فسنُقاتلكم كافة، حتى تضع الحرب أوزارها، فيترل عيسى عليه السلام ويكسر الصليب ويقتل الخترير ويضع الجزية.

صوت الأنين المكتوم للشاب الرهينة الذي يمسك به "حازم" جعل هذا الأخير يدفعه بركبته في ظهره، حتى يتوقف عن إصدار أنينه اللعين، فلا يتوقف التصوير مرة أخرى، عَلّ تلك اللحظات الرهيبة أن تنتهي!





نشر تنظيم "داعش" مقالًا حول الخطف، مرفقًا بصور في مجلة يصدرها باسم "دابق"، وبعدها بأيام وتحديدًا في 15 فبراير نشر فيديو مدته خمس دقائق، يُظهِر قتل المُختطَفين الـ 21 ذبحًا.

وكانت الصور المرفقة بالمقال في مجلة "دابق" مماثلة لتلك التي يتضمنها شريط الفيديو الذي تم بثه.

أعلن الرئيس المصري "عبد الفتاح السيسي" في كلمة طارئة ردًا على مقتل المصريين الـ 21، بأن الوقت قد حان للتعامل مع الإرهاب من دون أي ازدواجية في المعايير، مُشيرًا إلى أن مصر تمتلك حق الرد على "داعش".

قدم الرئيس "عبد الفتاح السيسي" العزاء للشعب المصري وأُسر الضحايا، مُشيرًا إلى أن المَصاب هو مَصاب مصر كلها، وأن مثل هذه الأعمال الدنيئة لن تنال من عزيمة مصر، وأعلن في كلمة له أن أول قراراته دعوة مجلس الدفاع الوطني للانعقاد والتباحث حول القرارات والإجراءات المقرر اتخاذها.

وقام الرئيس "السيسي" بتوجيه وزير الخارجية بالتوجه إلى واشنطن، لإجراء الاتصالات العاجلة مع الأمم المتحدة، للمشاركة في اتخاذ قرارات مهمة ضد الإرهاب، مؤكِدًا بأنه قد آن الأوان لهزيمة الإرهاب مرة أخرى.

ووجه الرئيس حكومة "محلِب" باتخاذ كل الإجراءات للوقوف مع أهالي الضحايا بكل الطرق الممكنة، بالإضافة إلى منع المصريين من السفر إلى ليبيا، كما وجهت أجهزة الدولة باتخاذ جميع الإجراءات اللازمة لعودة

المصريين الراغبين في العودة إلى أرض الوطن، وقال "السيسي" إن مصر ودول العالم أجمع تواجه معركةً شرسة ضد تنظيمات إرهابية مُتطرفة، وآن الأوان لكي نتعامل معها جميعًا.

وأوضح الرئيس "السيسي" بأنه في اجتماع دائم لمجلس الدفاع الوطني، لبحث الرد على تنظيم الدولة بكل قوة، وأضاف في خطاب ألقاه للشعب المصري، «إن مصر تحتفظ لنفسها بحق الرد على المجرمين القتلة»، لافتًا إلى أنه وجه الحكومة إلى التنفيذ الصارم لقرار منع سفر المصريين إلى ليبيا، وأضاف «إننا في هذه اللحظات نشعر جميعًا كمواطنين بالحزن والألم والغضب، فهذا الإرهاب الجديد في سلسلة الإرهاب المُستشري، وهو ما يفرض علينا جميعًا الاصطفاف لحماية العالم منه، وعلى دول العالم أن تتشارك في نفس الأهداف ضد الإرهاب».

ومن جهة الأزهر أدان مُفتي مصر وبشدة ذبح المواطنين المصريين، كما أكد الأزهر في بيانه: «العمل البربري الهمجي لا يمت إلى دين من الأديان ولا عُرف من الأعراف الإنسانية».

وأعربت الكنيسة الأرثوذكسية المصرية عن تعازيها لأهالي الضحايا، وقالت في بيان لها: «إن مصر لن يهدأ لها بال حتى ينال الجُناة الأشرار جزاءهم العادل».

أما عن أسماء ضحايا الحادث الإرهابي فهم كالتالي: «أبانوب عياد عطية – ماجد سليمان شحاتة – يوسف شكري يونان – كيرلس شكري فوزي – بيشوي اسطفانوس كامل – ملاك ابراهيم سنيوت – تواضروس يوسف

تواضروس - جرجس ميلاد سنيوت - هاني عبد المسيح صليب - بيشوي عادل خلف - صموئيل ألهم ويلسن - عامل إفريقي يدعى ماثيو إياريجيا - عزت بشرى نصيف - لوقا نجاتي - جابر منير عادلي - عصام بدار سمير - ملاج فرج ابرام - سامح صلاح فاروق - مينا فايز عزيز - ميلاد مكين زكي».

***

# (21)
# المَعرِفة المُرة

بَحَثَ الحاج "راشِد" كَثيرًا عن ابنه الطبيب الشاب الذي اختفى ولم يَعلم عنه شيئًا، ولكنه لم يَعثُر له على أية أثر.

لم ييأس وتابع بحثه حتى عَلِمَ في يومٍ مَشئوم من أحد معارف الشيخ "أحمد السلماوي" ممَن حاوَل هذا الأخير تَجنيدهم وفَشل في ذلك، أن الطبيب الشاب "حازم راشِد" قد سافر إلى ليبيا وانضم إلى تنظيم الدولة الإسلامية هُناك، ليجاهد ضد من يراهم أعداءً للدين الإسلامي ويستحقون القتل.

راحَ الحاج "راشد" يَبكي كالأطفال فشله في زرع قيم المحبة والإخاء في قلب ولده، بينما جَلَسَت زوجته إلى جواره تَلطُم خَديها وتلعن ذلك اليوم المشئوم الذي حَبلت فيه بابنها، لتُضيف قاتِلًا جديدًا إلى تلك الحياة التي لا ينقصها قَتَلة!

قال الحاج "راشد" من بين دموعه وصُراخه:

- لَيتَني ما عِشتُ ولا كُنتُ لذلك اليوم الذي أسمع فيه أن فَلذة كَبدي يَقتُل إخوَته، أبعد أن أطعَمته من رَحَمة الإسلام وسَقَيته من سماحته حتى أصبح طبيبًا تقتضي أمانة مهنته أن يداوي جراح إخوته في الإنسانية، التي هي حق متاح للجميع ولا حق لأحد أن يسلبهم أرواحهم التي خلقها الله، يتحول إلى قاتِل لا رحمةَ في قلبه ولا سماحة؟! أهذا ما عَلمته إياه عن مُعاملة الإسلام الكريمة لغير المُسلمين؟! والله الذي لا إله إلا هو الإسلام بريء منكِ يا وَلَدي ومن أفعالك الشائنة التي تُخالف تعاليمه.. لَعنك الله في كل مِلة وكِتاب.. حَسبيَ الله نِعمَ الوَكيل.. حَسبيَ الله نِعمَ الوَكيل.

بعدما صَمَتَ عن الكلام وَدَت أم "حازم" لو تُطيب خاطِره وتُهَون عليه كَربه، ولكنها هي مَن كانت تحتاجُ إلى من يُطيب خاطِرها ويأخُذ بيَدها في مِحنَتها تلكَ، حاولت أن تنطق بأية كلمة ولكنها رُغمًا عنها وَجَدَت نفسها تُكَرر ما قاله زوجها:

- حَسبيَ الله نِعمَ الوَكيل.

مَدَت يَدها تُربت على كَف زوجها، فأدرَكَت من برودَتِها أن حرارة الحياة قَد غادرَته ووافَته المَنية وهو يَلعَن ابنه في الحياة الدنيا والآخرة.

***

"فايز" المِسكين الذي فَقدَ بَصره من كَثرة البُكاء على غِياب ابنته الوحيدة من زوجته الحبيبة "سَمرة"، وفرط الحُزن لما ألحَقته به من عار هروبها منه دون أن يدري سَبيلًا إليها.

أنهكه بحثه المتواصل عنها وأعياهُ حُزن قلبه، فضَعف بَصره يومًا بعد يوم، حتى صارَ كَفيفًا، وكأن لا شيء في الحياة يَستَحِق أن يراه من بَعد غياب "شهوة" عنها.

راقِدًا على فِراشه يَنعى حَظه في هذه الحياة، ويَرثي ضياع ابنته:

– أينَ أنتِ يا شهوة؟! أتترُكيني وحيدًا في هذه الحياة مثلما فعَلت أمك سَمرة؟! آه يا شهوة.. أُمك تركَتني رُغمًا عنها يا ابنتي ولم تنس قبل أن تَرحَل أن تَترُك لي قطعة أخيرة منها هي أنتِ يا ابنتي الحبيبة، ولكن لماذا ترحلينَ عني بإرادتك يا شهوة؟! لماذا يا بُنَيَتي؟! ماذا فَعَلتُ لكِ لتترُكيني لمرار الذل وقَسوة غيابك عَني؟! آه يا مريم العذراء.. أنتِ ذُقتِ مرارة غياب الابن عندما مات ابنك الفادي على خشبة صليب العار، فلماذا تُذيقينني قسوة الغياب وأنتِ أدرى الناس بمرارته؟!

انتبه فجأةً على صوت زوجته "عفاف" وهي تأتِي من الصالة مُهرولِة، تصرُخ وكأنما أصابها مَس من الجنون:

– آه يا فايز.. قَتلوا ابني مينا.. الإرهابيين أولاد الكلب ذبحوه يا فايز.. ذبحوا ابني ونور عيني.. آه يا رَبي.. ارحمنا يا يسوع.

***

## (22)

# المُتَوَحِّد

مع دنو قُرص الشمس من الغروب وَقفَ الراهِب "يوليوس" أمام فَتحة مغارته بين شقوق الجِبال يتأمل ما خَلقه الله من جمال، فتبتهِج روحه ويتحدث إلى نَفسه وخالقه بصلواته التي لا تنقطع:

- سُبحانك رَب الجنود! حتى في الصحراء الصامِتة يتحدث جمال ما صَنَعَتهُ يداكَ الطاهِرَتان اللتان بلا عيبٍ ولا دَنس الطوباويتانِ والمُحييتانِ، فالسماء والأرض يُحدثان بمجدك وعَظمَتِك، أيُها الطبيبُ الشافي.. ضَمَدتَ جروحي أنا الخاطئ بأدوية الرحمة، طوبى للذينَ سَكروا بحُبِكَ، لأنهم ما يَحسونَ بآلام هذه الحياة ولا يَذكرون بَعد جَهل صِباهُم، يَنظرونك كل حين فيتعزونَ، أنتَ الذي كُنت لا يراكَ أحدًا ويَعيش.. كَشَفت السر المكنون وأعلنتَ ذاتك لكل مُحبيك، فنظروك وعِوَض الموت أخذوا الحياة، المَجدُ لكَ يا رَب كيفَ أنتَ قريب لكل من يدعونَك بقلوبهم، تقوم لمعونة المحتاجين وتنتَصِر للضَعيف والمَظلوم والمَغلوب.. رجاء مَن ليسَ له رجاء ومُعين مَن ليسَ له مُعين.

توَقَف عن صلاته ومُناجاته الصامِتة حينَ لَمحَ أحد الرهبان يَرتَقي الصخور ببطء قادمًا إليه، فاعتقده أحد المُتوحدين الذين يَقطِنون مغارات مُجاورة، ولكنه بعد أن اقترب قليلًا تَبيَّن ملامِح وجهه وعَرِف أنه الراهِب "سمعان" الذي سيمَ راهِبًا معه في ذات اليوم.

أسرَع الراهِب "يوليوس" ناحيته حتى التَقيا فانحَنيا يُقبِلان أيادي بَعضِهما البعض.

– أغابي يا أبَتِ.

– أغابي يا أبَتِ.. لما تَحَملت مَشَقَةِ الصعود إلى يوليوس الحقير؟، أنا لا أستَحِقٌ يا أبَتِ.

انحَنى الراهِب "سمعان" وقَبل الأرض تَحت قَدَمَي الراهِب "يوليوس" ثم نهضَ وقال:

– كُلنا لا نَستَحِق النعمة المَمنوحة لنا من قِبَل ربنا يسوع المسيح ولا نَستَحِق السكنى في هذا المكان المُقَدس يا أبَتِ...

التقط أنفاسه المتقطعة من مشقة صعود الجبال الوعرة واستطرد:

– لقد جِئتُ إليكَ بعدما استدعاني رئيس الدير من قَلايَتي[1] لأُخبِرُكَ بأنه يُريدك الآن يا أبَتِ.

---

[1] القلاية هي حجرة خاصة بالراهب في الدير، وقد تكون على شكل مغارة خارج الدير، وهـي تتكون من قسمين، الأول يُسمى المَحبسة، وهي حجرة الراهب الداخلية، وفيها مَخـدع الـصلاة ولا يدخلها أحدًا غيره، والثاني يُسمى المَضيفة، ويستضيف فيها الراهب أيًا من الآباء الرهبان أو غيرهم ممن يزورونه.

أومأ الراهِب "يوليوس" برأسه موافِقًا وقال:

– لِيَكُن كما تَقول... سأُحضِر لكَ بعض الماء لتروي ظمأك ثم أنزِلُ معك أبانا رئيس الدير.

انصرف الراهِب "يوليوس" إلى مغارته، ثُم عادَ بعد قليل وهو يَحمِل معه إناءً فُخاريًّا مليئًا بالماء، فَشَرِبَ منه الراهب "سمعان" ثُم وَضعه على إحدى الصخور وسارا معًا على الصخور يتجنبان جرح أقدامهما ببروز الصخور الحادة في طرقهما باتجاه الدير.

وفي طريقهما قال الراهِب "سمعان "يسأل الراهب "يوليوس" عن حياته الجديدة وتجربته مع الوحدة الإختيارية:

– كيفَ هي حياة الوِحدة يا أبَتِ؟.

– حياة الوِحدة مُمتعة يا أبَت، فما أجمل من أن تَخلو بإلَهك لتُناجيه طوال الليل والنهار بعيدًا عن صَخَب العالم وهمومه! الأمر لا يَخلو بالطبع من بَعض المَشَقة والأَلَم، ولكن ما من ألمٍ يُضاهي آلام المسيح على خَشَبة الصليب لفِداء البشَرية والتكفير عن خطاياهُم الكَثيرة.

صَمَتا قليلًا ثُم عاد الراهب "سمعان" وقال:

– قُل لي كَلِمَة مَنفَعة يا أبَتِ.

– سأروي لكَ قِصة رائعة حَدَثَت مع الأب مقاريوس الكبير كَوكَب الإسقيط1... في أحد الأيام كان الأب مقاريوس مُتجِهًا إلى مكانٍ ما

---

[1] برية شيهيت

بصُحبَة واحِدًا من تلاميذه، وفي الطريق تَعب الأب مقاريوس من السَير لكِبَر سنه، فطلبَ من تلميذه أن يَسبقه لأنه يَود أن يَستَريح قليلًا، أطاعه التلميذ وسَبقه، وفي طَريقه قابَل أحد الرِجال الوَثنيين يَحمِل على كَتفه حَطَبًا كثيرًا ليُشعِل به النيران ويُقَدِم مُحرِقَةً لإلهته الحَجرية، فنظر إليه التلميذ وقال له "لماذا تُسرِع يا خادِم الشَيطان؟"..

اغتاظ الرجل جدًّا وضربه ضَربًا مُبرِحًا حتى كادَ التلميذُ أن يَلفظ أنفاسه، تركه الرجل غارقًا في دمائه وواصَل السير حتى تقابَل مع الأب مقاريوس الذي حَياهُ قائلًا: "فليُساعِدك الله يا رَجُل النشاط".. تعَجَب الرجل كثيرًا وسأله "لماذا دعَوتَني برَجُل النشاط؟!"، فأجابه الأب مقاريوس قائلًا: "لأنني أراكَ مُجتهِدًا نَشيطًا وإن كُنتُ لا تَعرِف لماذا تَجتَهِد!"، فقال الرجل "أنا أسعى لإرضاء الإله حورَس"، حينها رأى الأب مقاريوس أن الرجل يُعلِق على صَدره مُفتاح الحياة، فقال "هل تَعلم أن مُفتاح الحياة هذا الذي تَضعه على صَدرك يُشبِه صَليب رَبنا يَسوع المسيح كثيرًا"، فسأله الرجل: "ومَن هو رَبكُم يَسوع المسيح هذا؟"، حينئذٍ بدأ الأب مقاريوس يُحدثه عن الديانة المسيحية ويُفَسر له ما استغلق على فهمه، فآمَن الرجل بالمسيحية وعادَ مع الأب مقاريوس لإنقاذ الراهب الجَريح، ثم بعد ذلك سيمَ هذا الرجل راهِبًا، ما أقصِد قَوله: يا أبَتِ من هذه القصة أن "الجَواب اللَين يُصرِف الغَضَب والكلام المُوجِع يُهَيج السخط[1]".. كثيرون من الناس يَعتَقِدونَ أنهم عِندما يُجادِلونَ أصحاب الأديان الأُخرى بكلامٍ مُوجِع أنهم

[1] (أم 15 : 1).

سيَنجَحون في جعلِهم يؤمِنون وهذا ليسَ صحيحًا، فالجواب اللّين وقبول الآخر خيرٌ من إيلامه وتجريحه.

وَصلا إلى مَكتب رئيس الدير، فانصرف الراهب "سمعان" إلى قَلايَته، بينما وَقفَ الراهب "يوليوس" أمام باب المَكتَب، وطَرَقه ثم دَلَفَ إلى الداخِل، فاستقبله رئيس الدير بحرارة.

– أغابي يا أبَتِ.

– اجلِس أيُها الراهب يوليوس.

جلَسَ الراهب "يوليوس" كما أشار له رئيس الدير، فابتَسَمَ هذا الأخير وقال:

– قداسَة البابا طَلَب مني أن أقوم بترشيح أحد الرهبان لسيامَته أُسقُفًا، وأنا رَشحتُكَ أنتَ أيُها الراهب يوليوس.

نزلت كلمات رئيس الدير كالصاعقة على مسامعه، فهَبَ الراهب "يوليوس" من مكانه ووقعَ على وَجهه أمام قَدَمَي رئيس الدير وراحَ يؤَدي ميطانيات كثيرة ويُقَبِل قَدَمَيه، ثمَ نهضَ وقال:

– أرجوك يا أبَتِ، أعفِني من هذا الأمر، فأنا لا أرغبُ في العَودة إلى العالم بعدما خلَعته عَني، أتوَسَلُ إليكَ يا أبَتِ.. أوَدُ لو أبقى في مغارَتي مُتوَحدًا، فأحيا غَريبًا عَن العالم ليَبقى غَريبًا عَني.

رَبَتَ رئيس الدير على كَتفه مُطمئنًا وقال:

– يا وَلَدي هذا اختيارٌ من الله، فتَشَدَد وتقوى والرب الذي اختارك لتشغل تلك الرتبة قادر أن يُساعدك ويرشدك إلى الاختيارات الصحيحة في مهامك، فمن اختارك للأمر لن يتركك في منتصفه وحيدًا.

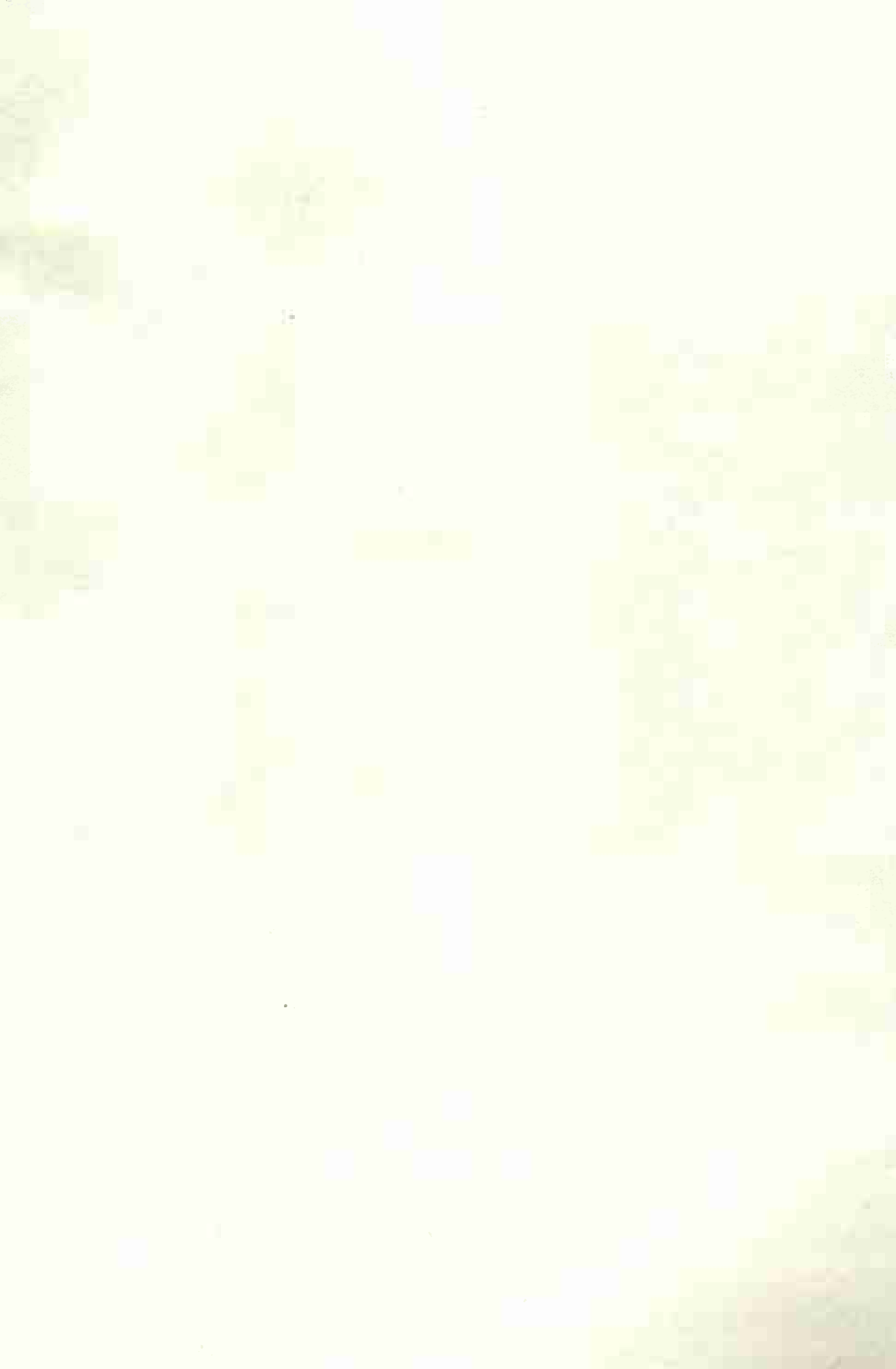
حاوَل الراهب "يوليوس" استعطافه مرة أُخرى، ليعدل رئيس الدير قراره، فقال راجيًا متوسلًا:

– أرجوك يا أبَتِ....

قاطَعه رئيس الدير وهو يُربِت على كَتفه مُشَجِعًا قبل أن يتح له الفرصة باستكمال حديثه:

– ابن الطاعة تَحِلُّ عليه البَرَكة.

***





- كُلهم يتشابهون.. كُلهم بَشَر يأكلون ويَشربون ويتنازَعون ويَمرضون ويَموتون.. كيفَ نتشابَه ونَختَلِف في آنٍ واحِد؟! نتشابه في تكويننا الجسدي ونختلف في آرائنا التي تؤدي في أحيانٍ كثيرة إلى قتل ذلك التكوين الجسدي المتشابه؟!

دَخلَ إلى غُرفة مَكتَبه، وجَلَسَ إلى مقعَده الجِلدي، تناوَل وَرَقة وقَلَمًا من درج المَكتَب وراحَ يُحاوِل أن يَكتب شِعرًا يُوقِف به سيل أفكاره عن جموحها، فانطَبَعَت أفكاره على الوَرَق لتُصَور صِراعه الداخِلي العظيم:

- الـــــ هي والـــــ أنا

كَقُطرُب يَلتَمِسُ اكتِمال القَمَر

تَحَيَنَت وَقتَ انزلاقي في الحَديث

قالَت بِنزَقِها المُعتاد:

دَعكَ مِنَ المُعتاد

وتَعال نُحَطِمَ بَعضَ التابوهاتِ القَديمة

ولِنُدرِكَ حَقًا ما القِيمة

أن نَحيا حَياةً أَبَديَة

أو أَن نَحيا بِدونِ هَوِية

أو حَقًا كانَ هُناكَ أَزَل؟!

أَم أنَ المَوت دائِمًا أقوى

مِن الشعور بالأمَل؟!

أو حَقًا في البِدايَة

هَذا إن كانَ هُناكَ بِداية –

أحَبَ النورَ زَهرَة بِنت الصبح؟!

وغَمَرَها بِدفئِه فَأورَقَت؟!

ثُمَ تَشَربَت مِن ماء القُبح فَيَبِسَت؟!

أَم أنَ الحُكم الصادِر بالذبح

كانَ سابِقًا لِما أدمَتهُ أشواكِها

مِن قلوبٍ

مِن عقولٍ

مِن حَواس؟!

تُرى هَل يَستَطيع حامِلَ الضِياء – أحيانًا –

أن يشفي ما خَلَفَه مِن جروح الظلام عِند بَعض الناس؟

فأجَبتُ بأني ....

***

# (24)
# إشارة مرور إلى الحياة والموت

مُمسِكًا بين إصبعيه بسيجارة المارلبورو البيضاء تَوَقَّف "وليد مندور" بسيارته الفخمة أمام إشارة المرور الحَمراء داهسًا الخط الأبيض بعجلات سيارته، فاقْتَرَب منه شرطِي المرور عَازِمًا أن يُحَرر له مُخالفة لتَدخينه في أثناء القيادة ولدهسه ذلك الخط المقدس بالنسبة هم، فلما رآه تَعَرف على ملامحه وصافحه بحرارة:

- أُستاذ وليد.. والله أنتَ أفضَل إعلامي في مصر، فأنا مِن مُتابِعي برنامجك وأنتَظر عودة إذاعته مرة أخرى على أحَر من الجَمر.

ابتسَمَ له "وليد مندور" ابتسامةً زائِفة ونظَرَ خَلفه من نافذة السيارة، فرأى تلك المرأة المُتَشحة بالسواد، جالسَة على الرصيف تَتَسَوَّل من أجل لُقمة عَيشها، فَمَدَّ يَده لها بورَقَة فئة الخَمسينَ جُنَيهًا ووَضَعها في كَف يَدها وأعادَ النظَر إلى شُرطِي المرور راسِمًا ذات الابتسامة الزائِفة على شَفَتيه، فقال الرجُل مُهَلِلًا:

- أعطاكَ الله من خَيراته يا رَجُلَ البِر والإحسان.

***

- ابن الطاعة تَحِلُّ عَليه البَرَكة.

راحَ عَقله يُرَدِد وهوَ جالِس في المقعَد الخَلفي للسيارة، حَيثُ يُقله سائِقها إلى الكَنيسة المَقصودة لتَتِم سيامَته أُسقُفًا بلا رَغبة حَقيقية منه ولكن تَنفيذًا للطاعة الواجِبة على الراهب.

- رَبي وإلَهي ساعدِني على ما وَضَعته فَوقَ كاهِلي من مَسئولية لَستُ نِدًّا لها أنا الحَقير الغارِق في آثامي، فلا قُدرة لي على رِعاية شَعبكَ وأنا الذي لا أستَطيعُ أن أرعى نَفسي.

معَ ضوء إشارة المرور الأحمر توَقفَت السيارة، فرأى الراهب "يوليوس" تلكَ المرأة المُتَشحة بالسواد، جالسَةً على الرَصيف تَتَسوَل من أجل لُقمَة عَيشِها، أرادَ أن يُعطيها شيئًا ولكن لا مال لَديه وهو الناسِك الزاهِد في أمور الدنيا.

طَلَبَ من السائِق المُكلف بتوصيله، فأعطاهُ جُنَيهًا واحِدًا وقال:

- يا أبي هؤلاء الناس نَصابون يَتَسولون مِنا نحنُ الفُقراء ومَعهم ملايين الجُنَيهات يُخفونها مُدعينَ الفقر.

مَدّ الراهب "يوليوس" يَده من نافذة السيارة ووَضَعَ القطعة المَعدنية في يَدها، ثُمَ عادَ إلى صلاتِه الصامتة، يُرَدِد مزمورًا مِن مزامير "داوود" النَبي:

– يا رَب لَم يَرتَفِع قَلبي ولَم تَستَعِلِ عَيناي ولَم أسلُك في العظائِم ولا في عَجائِب فوقِي، بَل هَدَأتَ وسَكَتَ نَفسي كَفَطيمٍ نَحوَ أُمِهِ[1].

***

– لَن يَخسر نهايَته كما خَسِرَ حَياته، فلتَكُن نِهايَته شَهيدًا في سَبيل الله.

راحَ الطبيب القاتِل "حازم راشِد" يُرَدِد العبارة في نَفسه وهو يَضع الحِزام الناسِف حَولَ خصره عازِمًا تَنفيذ عَمَليته الانتحارية في الكَنيسة التي سوفَ يَتِمُ فيها سِيامَة الأُسقُف الجَديد.

عندما قرر أن ينهي حياته قاصدًا جنة استشهاده، عاد إلى مصر، فليكن استشهاده في وطن حبه الذي قاده إلى الجهاد.. قاده إلى النهاية!

سارَ في الشارِع المُزدَحِم بخُطوات – أخيرة – بَطيئة نَحوَ المَكان المَقصود، يُقدِم قَدَمًا ويؤخِر الأُخرى، تَتصارَع الأفكار في رأسه، يَرى المَوت بعَباءَته السَوداء أمام ناظرَيه مُمسكًا بمنجَله الضخم مُستَعدًّا لقطاف رَوحه، فَيُرَدد في داخله قَول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ۝ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ۝ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

---

[1] (مز 131 : 1-2).

[2] سورة آل عمران 169 – 171.

يَرى تلكَ المرأة المُتَشِحة بالسواد لا يَظهر مِنها شَيء، تَتسَول من أجل لُقمَة عَيشِها، يَمد يَدَه في جيبه فلا يَجِد سِوى خَمسَة جُنَيهات، وَفِيمَ سَيَحتاج المال وَهوَ ذاهِب إلى الحياة الآخِرة؟!

يَضَع الوَرَقَة المالِية البالِية في يَدِها ويَمضِي في طَريقِه، يَتلو الشِهادة استِعدادًا لمُلاقاة المَوت.

- أشهَدُ أنَ لا إلهَ إلا الله وأنَ مُحَمَدًا رَسولُ الله.

***

"شهوة" الجَميلة البَريئة الرَقيقة الحالمة، التي ما كانت تَحتاجُ إلا لمَن يُحِبُّها فَتُحِبه ويَصونَها فَتصونُه، جَلَدَها الجَميع بِسياط شَهواتِهم الشريرة، وشَوَّهوا جَمالها بقباحَتِهم، وتَسابَقوا على نَهب خَيراتِها الكَثيرَة، فَخَسِرَت حَياتَها وأهلَها وشَرَفها وبَقِيَت وَحيدةً تُخَبِئ جَمالها بالسَواد جالسَةً على رَصيف الشارِع تَتَسَولُ مِن أجلِ لُقمَة عَيشِها، فَيُلقي لَها مَن نَهَبوها بفتاتِهم!

***

# مَراجع الرواية

- القُرآن الكريم.

- الكِتاب المُقَدَس بعهديه القديم والجديد

- محمد متولي الشعراوي، مريم والمسيح، مكتبة التُراث الإسلامي، ط2، 2000م.

- أحمد شلبي، المسيحية، مكتبة النهضة المصرية، ط10، 2000م.

- أحمد عبد الوهاب، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، مكتبة وهبة، 1988م.

- عبد الفتاح حسين الزيات، ماذا تعرف عن المسيحية، مركز الراية للنشر والإعلام، القاهرة، 1998م.

- ناصر المنشاوي، الجوانب الخفية من حياة المسيح، 2003م.

- مرقس عزيز خليل، إستحالة تحريف الكتاب المقدس،ط13، 2004.

- حسني يوسف الأطير، عقائد النصارى الموحدين، مكتبة الزهراء، القاهرة، 1991م.

- حسني يوسف الأطير، سر مريم، مكتبة الزهراء، 1994.

- فريز صموئيل، السنوات المجهولة من حياة المسيح، مطبعة أوتوبرنت، 1996م.

- عبد العزيز سيف النصر، العقائد النصرانية في ضوء الوحي الإلهي والتأثيرات الوثنية، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، 1991م.

- هشام محمد طلبة، محمد رسول الله في الترجوم والتلمود والتوراة، النهار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م.

***